وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of higher education and scientific research
جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي - تبسة
Echahid Cheikh Larbi Tebessi University- Te ssa
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
faculty of humanities and social sciences

قسم: الفلسفة

تخصص: فلسفة غربية حديثة ومعاصرة

مذكرة ماسترتحت عنوان

الأبعاد الإبستيمولوجية لنظرية المعرفة عند جون لوك قراءة نقدية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر L.M.D

من إعداد الطالب:
- نافع ربيعي

إشراف الأستاذ:
-د. زيات فيصل

أعضاء لجنة المناقشة :

الاســـــم واللقـــــب	الرتبـــــة العلميـــــة	الصفـــــــــة
مالك سماح	أستاذ محاضر –أ -	رئيســـــــــا
فيصل زيات	أستاذ محاضر – أ -	مشرفـــــا ومقـررا
بوعلي مبارك	أستاذ محاضر – أ-	عضوا ممتحنـــــا

السنة الجامعية: 2025/2024

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic OF Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
MINISTRY OF HIGHER EDUCATION AND SCIENTIFIC RESEARCH
جامعة العربي التبسي، تبسة
LARBI TEBESSI UNIVERSITY, TEBESSA
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
Faculty of Humanities and Social sciences
قســـــم الفلسفـــــة

إذن بإيداع مذكرة ماستر

أنا الممضي أسفله الأستاذ(ة): زيات فيصل. الرتبة: أستاذ محاضر أ

المشرف على مذكرة ماستر بعنوان:

الأبعاد الإبستيمولوجية لنظرية المعرفة عند جون لوك قراءة نقدية

والمكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص: فلسفة غربية حديثة ومعاصرة

بعنـــــوان السنة الجامعية: 2025/2024

من إعداد الطالب (ة) : نافع ربيعي رقم التسجيل 23084022545

أصرح بأنني تابعت المذكرة عبر جلسات إشرافية خلال الموسم الجامعي 2025/2024وأنها تتوفر على الشروط المنهجية والعلمية، الشكلية والموضوعية.

وبناءا عليه أسمح بإيداع المذكرة لدى أمانة القسم للمناقشة.

تبسة في : 2025/05/25

توقيع الأستاذ(ة) المشرف:

تصريح شرفي

بالالتزام بالأمانة العلمية لإنجاز البحوث

ملحق القرار رقم 933 المؤرخ في 2016/02/20

أنا الممضي أسفله الطالب(ة): نافع ربيعة رقم التسجيل 220240225145

صاحب(ة) بطاقة التعريف الوطنية رقم: 18B036503 الصادرة في: 2021/08/22

الصادرة عن دائرة/بلدية: بئر العاتر بئر العاتر

المسجل في السنة الثانية ماستر تخصص: فلسفة عربية حديثة

خلال السنة الجامعية: 2025/2024

والمكلف /ة/ بإنجاز مذكرة ماستر بعنوان:

الأبعاد الإستمولوجية لنظرية الوقت عند جون لوك (دراسة نقدية)

إشراف الأستاذ(ة): فيصل زياد

أصرح بشرفي أنني ألتزم بالتقيد بالمعايير العلمية والمنهجية والأخلاقية المطلوبة في انجاز البحوث الأكاديمية وفقا لما نص عليه القرار رقم 933 المؤرخ في 2016/07/20 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها، و أتحمل أي مخالفة لهذا القرار وكل ما يترتب عنه من عو اقب قانونية.

بئر العاتر في: 27 ماي 2025

مصادقة البلدية

المصادقة على الإمضاء
لحضرة
بتاريخ: 27 ماي 2025

إمضاء المعني بالأمر

شكر وتقدير

لله الحمد والشكر من قبل ومن بعد على نعمه التي لا تحصى ولا تعد، والصلاة والسلام

على معلم الامة وكاشف الغمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا. لك الحمد يا ربي أن وفقتنا لإتمام هذا العمل البحثي المتواضع.

أتقدم بالشكر الجزيل الى الاستاذ الفاضل "فيصل زيات" الذي أشرف على رسالة التخرج هذه والذي وجدت معه كل التسهيل والإعانة لإنجاز هذه المذكرة.

أتقدم اليك أستاذي الفاضل بالشكر والامتنان على نصائحك القيمة وتوجيهاتك وتشجيعك لنا، لقد كنت نعم المشرف فبارك الله في سعيك وأثابك عنا خير الجزاء والثواب.

ولا يفوتنا أن نتقدم بالشكر والاحترام الى كل أساتذتنا ومعلمينا الذين رافقونا من مرحلة التعليم الابتدائي إلى مرحلة التعليم العالي وخاصة أساتذة قسم الفلسفة.

وكل من قدم لنا المساعدة من الزملاء.

جزاكم الله عنا خير الجزاء.

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

" يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ "

المجادلة الآية 11

"وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ

وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" النحل الآية 78

إلى روح أبي المعلم الامام الفقيه عبد العزيز الزيتوني

إلى أمي الغالية على قلبي أمدّ الله في أنفاسها

إلى روح أخي رحمك الله برحمته الواسعة

إلى الاهل والاقارب الى كل رفقاء الدراسة

إلى الزوجة الغالية وكل أبنائي

إلى كل هؤلاء

مقدمـــــــة

مقدمة:

إن الحديث عن تاريخ الفلسفة عبر مراحل تطورها وبالرغم من اختلاف المدارس الفلسفية وآراء فلاسفتها ومفكريها، وقد اختلف هؤلاء الفلاسفة في توجهاتهم منها الميتافيزيقية والتاريخية والعلمية وغيرها من الأبحاث والدراسات الفلسفية. وعليها فنحن بصدد معالجة مبحث مهم في الفلسفة وهو مبحث نظرية المعرفة.

وقد كانت المعرفة مند القدم من بين اهتمامات الانسان والتي من خلالها يسعى لمعرفة الحقيقة، ونعني هنا بالتحديد الفلسفة الغربية والتي حاولت تحديد ماهية المبادئ المعرفية وماهية طبيعتها وما هو مصدرها وأيضا قيمتها، ومن بين ما ركزت عليه الفلسفة الغربية للوصول إلى المعرفة هو ماهي الوسائل التي نعتمد عليها للوصول إلى المعرفة.

وقد كان لفلاسفة ومفكرين الفلسفة الغربية كل الفضل في الاهتمام والبحث حول هدا المبحث المعرفي، ومن بينهم الفيلسوف الانجليزي ذو النزعة والاتجاه التجريبي، وقد كانت سنة 1690 السنة التي تأسست فيها نظرية المعرفة، ومنه يفتح لوك مجالا جديدا للبحث الفلسفي نزع فيه ثوب الفلسفة التقليدية مثل البحث في قضايا والوجود وطبيعة المعرفة وغيرها من المواضيع الفلسفية.

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة في أن المعرفة تعدّ مشكلة أساسية لاقت اهتماما كبيرا من طرف فلاسفة العصر الحديث، ومن أجل كلّ هدا أصبحت المعرفة غاية كلّ باحث ومنه الوصول الى الحقيقة.

أما عن هدفي وغايتي من وراء بحثي حول الابعاد الإبستيمولوجية لنظرية المعرفة عن جون لوك هو محاولة فهم فلسفة جون لوك التجريبية وأيضا محاولة تقديم نظرة نقدية للمعرفة المبنية على العقل.

إشكالية البحث:

وعليه وانطلاقا من بحثنا للأبعاد الإبستيمولوجية لنظرية المعرفة عند لوك يمكننا أن نطرح الإشكالية التالية:

ما هي الأبعاد الإبستيمولوجية لنظرية المعرفة عند جون لوك؟

وتحت هذه الإشكالية تنطوي مجموعة من التساؤلات الفرعية نذكرها:

- **كيف تتم عملية المعرفة، وما هي الاسس التي تقوم عليها؟**
- **ألا يمكن أن يكون هناك تقارب معرفي بين التجربة والعقل؟**

أسباب اختيار الموضوع:

أما بالنسبة لأسباب اختياري لهذا الموضوع فهنالك أسباب موضوعية وأخرى ذاتية:

1-من الاسباب التي دفعتني للتطرق لنظرية المعرفة عند لوك وهي: محاولة إبراز اسهامات هذا الفيلسوف التجريبي في بحثه عن حقيقة المعرفة من زاوية التجربة الحسية.

2- الميل نحو البحث في المواضيع المعرفية وتقصي جانبها التاريخي النقدي الإبستيمولوجي.

3- فعالية الموضوع وامتداده إلى الجانب العلمي الإبستيمولوجي.

خطة البحث:

وقد وضعنا الخطة الاتية، الغاية منها معالجة موضوعية لموضوع بحثنا ومحاولة الاجابة عن الاسئلة المطروحة، حيث قمنا بتقسيم بحثنا الى فصلين وخاتمة. كل فصل يندرج تحته ثلاث مباحث

الفصل الأول يحمل عنوان: الارهاصات (البدايات) الإبستيمولوجية لنظرية المعرفة في العصر الحديث.

وقد تطرقت فيه (المبحث الاول) طبيعة الافكار خاصة عند ديكارت والتي يقول بالأفكار الفطرية، والمبحث الثاني: تناولت فيه أفكار دافيد هيوم والتي يبني المعرفة على أساس التجربة والحواس، أما المبحث الثالث: فقد كان نقدي بامتياز من قبل جون لوك الذي رفض الافكار الفطرية.

وننتقل بعدها إلى **الفصل الثاني** تحت عنوان: طبيعة المعرفة عمد جون لوك وأبعادها الإبستيمولوجية تناولنا فيه أيضا ثلاث مباحث، الاول بعنوان: أصل وتكوين الافكار وأنواعها عند جون لوك. أما المبحث الثاني: فكان لضبط مفهوم المعرفة وذكر أنواعها وحدودها. وأخيرا المبحث الثالث: الابعاد الإبستيمولوجية لنسق لوك المعرفي.

صعوبات البحث:

وقد واجهتني بعض الصعوبات خلال بحثي هذا، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر وجود مادة معرفية كبيرة صعب علينا ضبطها والتحكم فيها وانتقاؤها، وضيق الوقت، وما توفيقي الا بالله العلي العظيم وهو من وراء القصد.

الفصل الأول

الارهاصات الإبستيمولوجية لنظرية المعرفة في العصر الحديث

الفصل الأول: الارهاصات الإبستيمولوجية لنظرية المعرفة في العصر الحديث.

تمهيد:

تعد نظرية المعرفة من المباحث ذات الأهمية في الفكر الفلسفي، ويعود تاريخ ظهورها مع بداية الفلسفة اليونانية القديمة.

وقد ارتبطت نظرية المعرفة بالميتافيزيقا وبالمنطق وبالنفس، لاكن مع ظهور الفلسفة الحديثة ظهرت كمبحث فلسفي متخصص ومستقل وأصبحت محور أساسي للفلسفة منذ القرن السابع عشر.

ومع بداية ظهور المذهب العقلي الذي تزعمه الفيلسوف الفرنسي روني ديكارت فقد أولى اهتماما لنظرية المعرفة واعتبر أن العقل هو المصدر الوحيد والأساسي للمعرفة وعليه اعتبرت نظرية المعرفة الفطرية جزء من المذهب العقلي وارتبطت به.

وعلى هذا الأساس نطرح التساؤل الآتي:

كيف يرى المذهب العقلي أصل ومصدر المعرفة؟

المبحث الأول: طبيعة المعرفة عند ديكارت

يلقب بأبو الفلسفة الحديثة " روني ديكارت " هو من أبرز الفلاسفة العقليين الذين أسسوا المذهب العقلي ، حيث يقر بأن العقل هو مصدر المعرفة الانسانية على اعتبار العقل ملكة واحدة مشتركة بين الناس جميعا ،يقول ديكارت :" العقل هو أعدل الاشياء توزعا بين الناس لان كل فرد يعتقد أنه قد أوتي منه الكفاية حتى الذين يصعب ارضائهم بأي شيء اخر ليس عادتهم أن يرغبوا في أكثر مما أصابوا منه "[1] .

بمعنى أنّ النّاس جميعا متساوون فكل انسان له عقل يتميز به ويعتقد ديكارت أنّ العقل هو منبع ومصدر المعرفة الانسانية ، فالعقل ملكة مشتركة بين جميع البشر يقول أيضا " لكن ما كان غرضنا الان مقصورا الى الانصراف الى البحث عن الحقيقة فبوسعنا أن نشك أولا بعدد الاشياء التي وقعت تحت حواسنا أو التي تخيلناها اطلاقا فنتساءل : هل فيها ما هو موجود حقا في العالم وذلك لان التجربة قد دلتنا على أن حواسنا قد خدعتنا في مواطن كثيرة و أنه يمكن من قلة التبصر أن نطمئن كل الاطمئنان الى من خدعونا ولو لمرة واحدة " ويقول أيضا :

" كلّ ما تلقيته حتّى اليوم و امنت بأنه أصدق الاشياء و أوثقها قد اكتسبته من الحواس أو بواسطة الحواس غير أني جربت هذه الحواس في بعض الاحيان فوجدتها خداعة ومن الحكمة أن لا نطمئن لها"[2] .

---

[1] ديكارت، مقالة الطريقة، ترجمة جميل صليبا، موفم للنشر، د ط ، 1991 ، ص 03.

[2] رنيه ديكارت، تأملات في الفلسفة الاولى، ترجمة عثمان أمين، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، ط 1، 1969، ص 73.

نفهم من كل هذا أن ديكارت انتقل من معرفة الحواس الى معرفة العقل ومعرفة العقل هي التي تبين مدى يقين المعرفة والأفكار انطلاقا من البداهة التي تعتبر القاعدة الاولى والأساسية في المنهج الديكارتي وبواسطته نصل الى اليقين.

يقول ديكارت: " أنا لا أتلقى على الاطلاق شيئا على أنه حقا ما لم أتبين بالبداهة أنه كذلك أي أعني تجنب التعجل والتثبت بالأحكام السابقة و أنا لا أدخل في أحكامي إلا ما يمثل لعقلي في وضوح وتميز لا يكون لدى معها أي مجال لوضعه موضع الشك "[1] فديكارت ف ديكارت يؤكد أنّ البداهة عنده هو العلم الرّياضي (الرياضيات).

ويقول أيضا: " ولمّا رأيت من الذين بحثوا من قبل عن الحقيقة في العلوم لم يستطع أحد غير الرياضيين أن يهتدي الى بعض البراهين أي الى بعض الحجج اليقينية والبديهية ". فديكارت يؤكد من قوله هذا أن البراهين الرياضية هي أساس المعرفة الصحيحة لأنها تعتمد على العقل.

فالحقيقة والبداهة حسب ديكارت تتصف بخاصتين هما الوضوح والتميز وفي هذا السياق يقول :" بل ان النّاس من لم يدركوا في حياتهم كلّها شيئا كما ينبغي أن يدركوا حكما يقينيا صحيحا ، لان المعرفة لا بدّ أن تكون واضحة متميزة معا "[2] ،فالوضوح يعني التعبير عن فكرة واضحة بذاتها لا تحتاج الى أيّ تفسير ولا مجال فيها الى الشك.

أما الفكرة المميزة هي الفكرة التي لا يلتبس معها في الذهن مع معنى الفكرة الأخرى نما يبقى الذهن يميز بينها وبين غيرها من الأفكار فعند قولي أنا أحب أن

---

1 رنيه ديكارت، تأملات في الفلسفة الأولى، مرجع سابق، ص 22.

[2] رينيه ديكارت، مبادئ الفلسفة، ترجمة عثمان أمين، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د ط ، 1993 ، ص 2.

أتخيل أنه يدخل في نطاق الأفكار البديهية الواضحة المتميزة بينها وبين الأفكار الأخرى على أساس أنه لايمكن أن أقوم بهذه الأفعال دون أن أكون معتقدا بوجودي الحسي ومدرك للتمايز القائمة بينها من حيث المعنى[1] .

وما نستنتجه أخيرا أن فكرة البداهة هي مجموعة الأفكار البسيطة الصحيحة والواضحة كفكرتنا عن المثلث فكل واحد منا يرى بأن المثلث محدود بواسطة ثلاث خطوط أو فكرتنا عن 1+1=2 أو فكرة الكل أكبر من الجزء فهي أفكار بديهية لا تحتاج الى تبرير أو توضيح لإثبات صحتها ويقينها، فالبداهة هي الوسيلة التي نستطيع التمييز بها بين الافكار.

لقد أثبت ديكارت أن النفس هي جوهر كفكر كل ما فيها وعي وتفكير فإذا نظرنا في[2] التأمل الثالث من تأملات ديكارت وجدنا أنه يقسم أفكار النفس الى ثلاثة أنواع يقول ديكارت :" أفكاري على أقسام فمنها أفكار خالصة أي تصورات للأشياء لا غير مثل فكرة الغول و الانسان والله ومنها ما يصنف الذهن بفعل شيئا الى مجرد تمثل الموضوع ، فهناك ما هو مفطور في نفسي كفكرة الوجود وقد صنعته لنفسي وكفكرة الحيوان ومنها ما هو عارض كالشمس "[3] .

فما هي الافكار التي يوليها ديكارت الاولوية عن الاخرى؟

---

[1] مهدي فضل الله، فلسفة ديكارت ومنهجه، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط 2، 1986 ، ص 106.

[2] ابراهيم مصطفى ابراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، الاسكندرية، دط،د،ت، ص 91.

[3] رينيه ديكارت، مقالة الطريقة، مرجع سابق، ص 121.

1- الافكار الاتفاقية أو الخارجية:

ويقصد بها الافكار الحسية أو ما ينطبع في عقولنا حيث يدرك الاشياء المادية الخارجية بالحواس الخمس ومن أمثلتها اللون والطعم و الرائحة والتذوق ، واعتقد ديكارت أن النوع من الافكار لا قيمة له في بناء صرح معرفي دقيق وموضوعي لان مصدرها الخبرة الحسية والحواس كما رأينا خادعة ومضللة و لا تصلح وسيلة لمعرفة دقيقة بالإضافة الى أن يقين المعرفة يصبح مرهون بالوجود والعالم الخارجي[1] .

وهي الافكار التي يستقيها الانسان من الاشياء أو الموجودات عند اتصاله بالعالم الخارجي عن طريق الحواس الخمس كأفكار اللون مثلا والحجم والشكل التي ينطبع في أذهاننا عند احتكاكنا بالعالم المادي، وهذه الافكار لا قيمة لها من حيث المعرفة عند ديكارت لأنها لا تمثل معرفة صحيحة للأشياء، فهي نابعة من التجربة الحسية، فالحواس خداعة ولا يمكن الاعتماد عليها في بماء معرفة يقينية.

[1] ابراهيم مصطفى ابراهيم، مرجع سابق، ص 91 – 92.

2. الافكار المصطنعة أو الخيالية:

ويقصد بها تلك الافكار التي تصل اليها بفعل المخيلة ويكونها الخيال على أساس الافكار الخارجية السابقة ذكرها ويعتمد على خيال الانسان وقدرته على ايجاد أفكار لا يوجد لها في الواقع رغم أن عناصرها مجدة في الواقع ... نأخذ على سبيل المثال ، تخيل فكرة حصان مجنح يطير وصورة حيوان نصف انسان ونصف فرس[1] فهاته الافكار ينتجها الخيال على أساس الافكار الخارجية السابقة عن طريق التركيب والجمع بين أعضائها وأجزائها والأفكار التي نصل اليها عن طريق الخيال ، هي أفكار لا وجود لها في الواقع مثلا عندما نتخيل وجود حصان مجنح ويطير فإذا تمعنا نجد أن هناك حصان وهناك أجنحة أيضا في الواقع وهناك وجود للطيران لكن هذا جزانا الفكرة الى عناصر وأما فكرة وجود حصان مجنح ويطير فهذه خيالية لا وجود لها في الواقع.

هذه هي الافكار التي تمركز عليها الفلسفة الديكارتية وتعتبر المنبع الاساسي للتصورات تنشأ في العقل، وهي الافكار التي نتعرف عليها بمجرد النظر في طبيعتها مثل أفكارنا في الوجود

والنفس والحقيقة والامتداد وعن الله أولا وأخيرا وهذا النوع من الافكار هو أساس المعرفة الموضوعية الدقيقة[2] .

[1] ابراهيم مصطفى ابراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم، مرجع سابق، ص 92.

[2] المرجع نفسه، ص 92.

3. الافكار الفطرية:

هي الافكار التي لا دخل للخيال في حياكتها ولا شأن للملاحظة والتجربة الحسية في صنعها فهي أفكار بديهية يؤمن بها كل انسان عاقل لأنها لا تثير أي شك في صحتها لأنها تتصف بالوضوح المطلق مثل فكرة الكوجيتو والكل أكبر من الجزء ويمكن التعرف عليها بمجرد النظر في طبيعتها فهي موجودة مهما كان وجود موضوعات خارجية تقابلها أو عدم وجودها، فالفكرة الواضحة عند ديكارت هي الفكرة الوحيدة من بين الافكار الثلاثة التي تتميز بالوضوح والتميز والدقة وهي لا تحتاج للأدلة والبراهين لإثبات مدى صحتها كفكرة الله.

ان فكرة الله هي الفكرة الفطرية الوحيدة التي توضح لنا مدى أهمية هذا النوع من الافكار ودورها في بناء التصورات كونها الفكرة البديهية الواضحة والمتميزة والتي علتنا وعلة جميع الافكار ، يقول ديكارت :" ان من عرف شيئا أكمل من ذاته لم يهب الوجود لذاته ، اذ أنه لو كان تستطيع ذلك لكان يهب ذاته كل كمال وصل ، الى علمه ويترتب على ذلك أنه لا يستطيع البقاء في الوجود ، الا معتمدا على الموجود الحائز بالفعل على جميع هذه الكمالات هو الله[1] .

فالله هنا حسب ديكارت هو علة كل الموجودات ومصدر كل الأفكار فالله يخلق الإنسان مزودا بالأفكار الفطرية وهي أساس المعرفة الإنسانية، فالأفكار الفطرية أوجدها الله فينا منذ الولادة فنحن مفطرون عليها، اذن فالله هو المنبع ومصدر كل أفكارنا الفطرية وهو لا يمكن أن يضلنا.

[1] رينيه ديكارت، مبادئ الفلسفة، مرجع سابق، ص 66.

يقول ديكارت :" ولقد بان النور الفطري ، انه ينبغي أن يكون في العلة الفاعلة التامة من الوجود قدر ما في معلولها على أقل تقدير"[1] وفي هذا القول يؤكد ديكارت أن الله هو منبع كل أفكارنا ومعارفنا وهو علة كل الموجودات فالإنسان يولد مزودا بأفكار فطرية والأفكار هي أساس كل معرفة انسانية.

فمفتاح المعرفة العقلية الخالصة هو نور الطبيعة والقدرة الفطرية التي غرسها الله في عقلنا للوصول الى الحقيقة بواسطة الافكار الواضحة والمتميزة لا علاقة لها ب ادراكات الحواس هي نوع من الادراكات العقلية الخالصة التي تتمتع بها حيث نتأمل قضايا الرياضيات الاولية والبديهية[2] .

هذا يعني أن أساس كل معرفة بقوم على الافكار الفطرية الموجودة داخل الذهن التي نصل من خلالها الى الحقيقة وذلك بواسطة الافكار الواضحة والمتميزة ولا دخل للإدراكات الحسية في ذلك.

[1] رينيه ديكارت، تأملات في الفلسفة الاولى، مرجع سابق، ص 198.

[2] جون كوتنغهام، العقلانية، (تر) محمود الهاشمي، مركز الانماء الحضري، حلب المنشية، بناية المحبة ط1، 1977، ص 84.

المبحث الثاني: طبيعة المعرفة عند دافيد هيوم

بإمكاننا اذن أن نقسم ادراكات الذهن جميعها الى صنفين أو نوعين يتميزان باختلاف درجة القوة والحيوية التي من أقل قوة و أقل حيوية تسمى أفكارا أما التي من نوع اخر فتفتقر الى اسم في اللغة الانجليزية وفي معظم اللغات الاخرى وأعتقد أن الامر كذلك لان تسميتها أو ضمها تحت لفظ عام لا يلزم إلا لأغراض فلسفية ، فلنأخذ حريتنا اذن ولنسمها انطباعات[1] فهيوم يقسم هذه المدركات الى قسمين : هما الاثار الحسية والأفكار وكلاهما في نظره من نوع واحد وكل الفرق بينهما هو في درجة القوة التي يؤثر بها كل منهما في العقل[2] فهو يفرق بين ما هو انطباع وما هو فكرة يقول : " ان جميع الادراكات العقلية تنقسم الى قسمين متميزين هما الانطباع والأفكار " تقوم بينهما علاقات الفرق بينهما يكمن في الشدة أو الحيوية[3] .

أعني اذن بلفظ انطباع كل ما هو أكثر حياة في ادراكاتنا حيث نسمع ونرى ونلمس ومحب ونكره ونرغب ونريد وتتميز الانطباعات من الافكار التي هي ما هو أقل حياة في

ادراكاتنا من كل مرجعية وكل سلطة بشرية وحسب بل لا تحتويه حتى حدود الطبيعة والواقع[4] فالآثار الحسية هي المرجع الاقوى في العقل أثرا و أوضح ظهورا أما

---

[1] دافيد هيوم، مبحث في الفاهمة البشرية، ترجمة موسى وهبة، دار الفارابي، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2008 ،ص38.

[2] زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، د ط ،د ت ، ص ص 234 . 235.

[3] دافيد هيوم ، مرجع سابق ، ص 52.

[4] دافيد هيوم ، مرجع سابق ، ص ص 38 – 39.

الافكار فهي عبارة عن اثار حسية تقادم عهدها فوهنت قوتها ضعفت صورها ، وما دام الامر كذلك فلا يمكن أن تنشأ في العقول أفكار إلا اذا سبقتها اقار حسية.

اذن فالآثار الحسية هي المرجع الاخير الذي نقيس به صحة الافكار وحقيقتها فهذا يعني أن الانطباعات أو الاثار الحسية أسبق من الافكار داخل الذهن ، فالأفكار لا يمكن أن تتكون وتنشأ إلا اذا سبقتها الاثار الحسية في ذلك.

يقول هيوم :" انه اذا قام الدليل على الاثار الحسية تسبق الافكار وعلى استحالة هذه بغير تلك فقد أجيب على مشكلة الاراء الفطرية التي كثر حولها الجدل والنزاع اذا ما دامت الافكار تتبع اثار الحواس وهذه الاثار الحسية لا تكون الا في تجارب الحياة اذن فليس ثمة أفكار مفطور عليها العقل منذ ولادته على الاطلاق "[1] .

فالآثار الحسية هي الظواهر الوجدانية البارزة القوية أي الاحساسات والانفعالات والعواطف كما تمثل مباشرة، أما العقل وهو مثل انفعالات الحواس الظاهرة واللذة والالم وانفعالات التفكير التي تحدث كنتيجة للذة والألم كالميل والنفور والرجاء والخوف، أما الافكار هي صور الاثار الحسية ونسخ باهتة واهنة ولا تكون للفكرة أية قيمة إلا إذا كانت

صور لأثر حسي أو لمجموعة من الاثار الحسية فاذا لم تكن الفكرة مركبة على هذا النحو فإنها تكون غير حقيقية و مركبة تركيبا صناعيا[2] .

ثم يفرق بين أفكار الذاكرة والخيال ان الاولى أنصع و أقوى من الثانية لأنها صور مباشرة لمدركاتنا ، اذن الذاكرة تحتفظ بالصور الاصلية التي أدركنا عليها الاشياء ، وأما

[1] زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 235.

[2] ابراهيم مصطفى ابراهيم، الفلسفة الحديقة من ديكارت الى هيوم، مرجع سابق، ص 327.

الخيال فهو يتناول هذه الصور الفكرية بالتغيير والتحرير وبعبارة أخرى ، أن الذاكرة تقف عند حدود التجربة أما الخيال فلا يقيد نفسه بذلك وبهذا يقع في كثير من الاخطاء ويختلف كثيرا من الدعاوي التي لا يمكن البرهنة عليها[1] .

فالذاكرة هي الاصل والخيال هو الفرع بمعنى أن الذاكرة تحتفظ بالصور الاصلية لمدركاتنا، أما الخيال فهو يتناول هذه الصورة بطريقة مغايرة ومختلفة ويقع في الاخطاء ويختلق أشياء لا يمكن اثباتها.

ينظر هيوم الى أفكاره فيراها دائمة الاتصال والانفصال بعضها مع بعض وقوة الخيال هي التي تقوم بربط هذه الفكرة بهذه أو تلك ويستحيل أن تكون المصادقة وحدها هي التي تعمل على ربط أشتات للأفكار المفككة التي تصل الى الذهن بل لا بد أن يكون هناك أساس لربط الأفكار وقاعدة تتصل بمقتضاها فكرة بفكرة أخرى ، ويقول هيوم أن لذلك التداعي بين الافكار" أسس ثلاثة[2] هي قوانين أولوية للذهن تعمل فيه دون تدخل منه وتقتصر وظيفة الذهن على مجرد قبول الانفعالات فتحصل منها المعاني حصولا اليا بموجب قانون التداعي[3] فدافيد هيوم يقر بأن هناك مبدأ للاقتران بين أفكار الذهن مصادقة فهي في ظهورها للذاكرة والمخيلة تتداخل بعضها في بعض بدرجة معينة من الترتيب والانضمام .

أن هناك ثلاثة مبادئ للاقتران بين الافكار هي التشابه والتجاور في الزمان والمكان والسبب والاثر:

---

[1] زكي نجيب محمود، مرجع سابق، ص ص 235- 236.

[2] زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 236.

[3] محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي، دار المعرفة الجامعية، السويس، د ط ، 1996 ، ج4 ، ص 204.

- التشابه: فاللوحة تذهب بأفكارنا طبيعيات الى الاصل.

- التجاور في الزمان والمكان: وذكر المنزل في المبنى يؤدي طبيعيا الى التحري عن المنازل الاخرى أو الكلام عليها.

- السبب أو الاثر: اذا ما فكرنا في الجرح نكاد لا نستطيع الامتناع عن التفكير في الامر الذي يليه[1] .

فالتشابه هو أساس كل العلوم التي ترتكز على البداهة أو على البرهان كالحساب والجبر والرياضيات بصفة عامة لان قضايا الرياضيات يدركها العقل بمجرد الفكر دون أن يعتمد في ذلك على ما هو موجود في زمان أو مكان ، أما العلاقة الزمنية و المكانية فتقوم على أساسها العلوم الطبيعية وعلى السببية هي أهم الروابط الثلاث انتشارا وأشدها اتصالا بالحياة العادية فكل ما يقع من حوادث بين الاشياء انما يحدث وفقا لقاعدة السببية[2].

[1] دافيد هيوم، مبحث في الفاهمة البشرية، مرجع سابق، ص 46.

[2] زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة ، مرجع سابق، ص ص 236 –237.

المبحث الثالث: نقد جون لوك ورفضه للأفكار الفطرية

في نهاية القرن السابع عشر ميلادي أفصح الفيلسوف جون لوك (1632–1704م) نظرية الافكار الفطرية لأدق التفحص وكتابه المقال المتعلق بالفهم البشري1690 في البحث في أصل المعرفة البشرية ويقينها ومداها[1] .

ففي المبحث الاول يشير بوضوح الى مقصده أن الفطرية وهي مذهب للحكم المسبب ولو كان قراره براءة من الحكم المسبق لما كان انتقد المذهب بحد ذاته ولكن كفاه أن يبين أن النّاس يمكنهم تحصيل جميع المعارف التي بحوزتهم بمجرد استخدامهم قدراتهم الطبيعية بدون معونة ، أي انطباع فطري وأنهم يستطيعون البلوغ الى اليقين التام بصدد عدد من الاشياء بدون أن تكون بهم حاجة الى أي تلك المعاني أو المبادئ الفطرية[2] .

بمعنى أن لوك يعتقد أن الافكار الفطرية هي مجرد أحكام مسبقة وأنه يمكن تحصيل المعرفة دون اللجوء أو الاعتماد على أي أفكار فطرية ويمكن الوصول الى اليقين (المعرفة اليقينية) من دون مساعدة من هاته الافكار.

ويبدي لوك هجومه على مذهب الفطرة في الصفحات الاولى من المقال : " انه لرأي راسخ بين بعض الناس توجد في الفهم بعض المبادئ الفطرية وبعض الافكار الأولية

---

[1] جون كوتنغهام، ارجع سابق، ص 84.

[2] ايميلي برليه، تاريخ الفلسفة القرن17، (تر) جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ط2، 1993، ج4 ،ص331.

وأن الحروف انجاز التعبير مطبوعة في ذهن الانسان والتي تتلقاه الروح في صميم كينونتها الاولى و تولد معها ، وسيكون كافيا لكي أقنع القراء غير المتحيزين ببطلان هذه الفرضية وكيف أن للناس يمكن أن يصلوا الى كل المعرفة التي لديها من دون مساعدة أي من الانطباعات الفطرية[1] .

فدعاة الفطرية الحجة التي يستخدمونها هي الحجة " القبول الكلي " فهناك مبادئ أساسية معينة يقبل كل البشر أنها حقيقة ، ولكن لوك يعترض بأن القبول الكلي لا يثبت شيئا ، فإذا كان القبول الكلي علامة الفطرة[2] فان قضية مثل : الابيض ليس الاسود يجب أن تعد فطرية ، ومع ذلك لا يمكن أن تكون أي قضية فطرية ما لم تكن الافكار عنها فطرية وسيكون من السخف القول بأن أفكارنا عن الابيض والأسود فطرية طالما من الواضح اننا نحصل عليها من رؤيتنا للأشياء

البيضاء والسوداء[3] ،فهو ينكر أن يكون من معلوماتنا مفطورا فينا بالوراثة[4] .

فأصحاب النظرية الفطرية يتخذون دليلين لتأكيد النظرية التي يذهبون اليها:

أولا: أنها اراء مسلم بها عند جميع الناس بغير استثناء.

ثانيا: أن العقل البشري يدركها بمجرد وعيه ويقظته[5].

---

[1] جون كوتنغهام ، مرجع سابق ، ص 84.

[2] jhon locke,AnEssay concerning Homan understanding, the pennsybanina state university,1690,65.

[3] العقلانية، جون كوتنغهام، مرجع سابق، ص 85.

[4] زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 203.

[5] المرجع نفسه، ص 205 –206.

هذا يعني أن دعاة النظرية الغريزية يقولون بفطرية الافكار بدليل أن هناك أفكار معينة تكون عامة عند جميع الناس ومسلم بها على أنها صحيحة وحقيقية فلوك مثلا: يعترض على أن تكون فكرة الابيض ليس أسود فطرية لان هاته الفطرة بالذات (الابيض، الاسود) نصل اليها من خلال رؤيتنا للأشياء فلوك ينكر وجود أي أفكار لدينا فطرية.

فيرد جون لوك على الدليل الاول بأن هذه الآراء ليس كما يزعمون مسلما بها من الناس كلهم بدليل أن القبائل المتوحشة لا تعلمها[1] ،وأن هاته الافكار لا يوجد حولها الاجتماع والاتفاق فالأطفال لا يعتقدون فيها فالطفل يمكن أن يقبل بسهولة وجود الشيء وعدم وجوده في نفس الوقت. كما أنه لا يعرف أن المتساويان لشيء واحد متساويان بالنسبة لبعضهم[2] .

فإذا كانت هناك أفكار فطرية مطبوعة في النفس الانسانية فيجب أن يعرفها الاطفال، فالطفل لا يمكن أن يعرف مثل هذه الافكار الا بالتعلم فهذا يعني أنه في حالة الخبرة والى البرهنة على وجودها[3] .

فان القول بأن البشرية كلها مجتمعة ومتفقة على وجود أفكار فطرية واحدة، فهناك شعوب لا تعتقد في وجود هذه الافكار في الاصل بحكم اختلاف أجناسها وعقائدها ومبادئها ، فبماذا نفسر جهل الاطفال لها ، فالطفل لا يمكن أن بعرف هذه الافكار الا بعد مرور مدة ليكتسبها بالخبرة.

---

[1] [1] زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص2025.

[2] jhon lock, ibid,01, p64.

[3] . ibid, p63.

ويرد لوك على الدليل الثاني بأن العقل لا يستطيع ادراك تلك الاراء بمجرد يقظته في السنين الاولى من العمر بدليل أن الاطفال تجهلها جهلا تاما ، مثلا : بعض البديهيات كاستحالة أن يكون الشيء و إلا يكون في وقت واحد فهذه القضية التي يدعون دعاة الاراء الفطرية أنها موروثة فينا ليست مكتسبة ، فهذه القضايا ليست فطرية بل مكتسبة بالتجربة بل وبالتجربة الطويلة[1] .

حتى فكرة الله نفسها فهناك من الناس من يجهلها جهلا تاما أضف الى ذلك أن الشعوب التي تعترف بوجود الله لا تتفق كلها على اله واحد بل أراءهم تختلف في تصويره أشد اختلاف[2] فقد لاحظ لوك أن مثل هذا الاتفاق الكلي على القضايا محض خرافة "لان هناك جانبا كبيرا من البشر لم يسمعوا بها" وعقب على ذلك بطريقة أقرب الى السخرية " ان مثل هذا النوع من القضايا العامة كقولنا مثلا : من المحال لنفس الشيء أن يوجد و ألا يوجد نادرا ما جاء ذكرها في أكواخ الهنود " ويقول :" أولا أن هذا الامر زائف تجريبيا وثانيا أنه حتى لو صح أن الناس قد اتجهوا الى الاقرار بذلك في الوقت الذي نزعوا فيه استخدام العقل بأنه لا يترتب على ذلك وصف هذه القضايا بأنها فطرية " فيمكن تفسيرها على أنه يعني بكل بساطة[3] أنهم تمكنوا من ادراك حقيقة طريق التذكر جعلها مدركا مرة أخرى وان استشهد بشهادات الجميع

[1] زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 206.

[2] المرجع نفسه 206.

[3] ريتشارد شاخت، رواد الفلسفة الحديثة، ترجمة أحمد حمدي محمود، مكتبة الاسرة، مصر، د ط، 1997، ص 130.

لا ثبات هل هذا ما يحدث حقا أم لا "[1] .

كما لاحظ لوك " فحتى فلاسفة الطبيعة وباقي العلوم قد جاءوا بقضايا من المؤكد أنها ستلقى حسن القبول بمجرد فهمها ومن هذه القضايا على سبيل المثال : من غير المقدور وجود جسمين في نفس الموضوع " الابيض شئ والاسود شئ اخر ، المربع شئ والدائرة شئ اخر ، وثمة اختلاف بين صفرة اللون وحلاوة المذاق "[2] .

فلوك يعتقد أن المبادئ لا يمكن أن تكون فطرية ما لم تكن أفكارنا فطرية باعتبار " هذه الافكار هي الاجزاء التي صنعت منها هذه القضايا "، ويرى على نحو صائب أن الافكار وبخاصة تلك المنتمية الى مبادئ (مجردة) لا تقهر عند الاطفال عند الاطفال عند مولدهم" وليست هناك أدنى مظاهر تدل على وجود أية أفكار راسخة عند جميع الاطفال الحديثي المولد.

بمعنى أنه لا وجود لأفكار فطرية أو مبادئ مجرد تظهر لدى الاطفال الحديثي الولادة فالطفل يولد دون أفكار مسبقة فعل الطفل خالي من أفكار راسخة فيه.

فقد سلم جون لوك بعجز العقل البشري وقصوره عن معالجة ما يتجاوز كحدود ويقول في ذلك " لا ينبغي أن نعدو حدود ما تستطيع ملكتنا " وهو يلاحظ أن الناس يميلون بوجه عام الى التعمق بأفكارهم فيما هو فوق مقدورهم[3] .

---

[1] ريتشارد شاخت، مرجع سابق، ص 131.

[2] المرجع نفسه، ص 130.

3 زكي نجيب محمود ، قصة الفلسفة الحديثة، مرجع سابق ، ص 202.

يقول لوك " لما رأى الناس أن هناك بعض القضايا العامة التي لا يكاد العقل يدركها حتى يوقن بها يقينا يستحيل أن يتطرق اليه الشك حكموا عليها بأنها فطرية فيهم ، لا لشيء الا أن هذا التعليل أبسر و أقصر" ولكنهم في الواقع لا يعللون الرأي بقولهم عنه أنه فطري بل ان هذا القول لاعتراف صريح بأنه لعز أشكل عليهم حله ولم يجدوا التعليل الصحيح سبيلا[1] .

إن هناك أفكار عجز العقل عن ادراكها وأن يوقن بها يقينا صحيحا فسرها أصحاب النظرية الفطرية على أنها أفكار فطرية لأنهم عجزوا عن تفسيرها وتعليلها وعجزهم هذا بدوره بأن هذه الافكار هي موروثة فينا بالفطرة.

لو كان المذهب الغريزي صحيحا لما كان هناك حاجة للبحث عن الحقيقة بالملاحظة والاختبار، فان ديكارت متفق مع مذهبه الغريزي حيث يغمض عينه ويسد أذنيه، ويستبعد كل ما يأتي عن طريق الحواس، ولكنه يخالف مذهبه حين يعكف على دراسة التشريح ووظائف الاعضاء ، ولو كانت المبادئ التي يذكرونها غريزية للزم أن توجد عند جميع الناس دائما .

ولكن الاقلية من الناس حتى من بين المثقفين يعرفون المبادئ النظرية مثل : مبدأ الذاتية ومبدأ عدم التناقض[2] .

ويصر لوك أن الاطفال لا يعون في واقع الامر وقوانين المنطق فهم لا يقولون لأنفسهم في التمييز بين لعبهم وحبات الحلوى "ان الشيء هو ومن المستحيل أن يكون

---

1 jhon locke ibid; 01, p64.

[2] يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، دار المعارف ، مصر، د ط ، د ت ، ص 137.

نفس الشيء ولا يكون"، ولقد عرف لوك أن هناك اختلافا هائلا بين الشعوب المتعددة فيما يتعلق بما هو صواب وما هو خطا ، ويشهد لوك بروايات عن الشعوب الهمجية تقرر أنه ليس لديهم أفكار عن الله والدين على الاطلاق ونحن نعرف أن هذا غير صحيح الان تماما[1] .

يقول لوك : " ليس قمة شيء في العقل لم يكن من قبل الحواس " فلقد كان لوك يعتقد تقريبا بأن العقل يلعب دورا سلبيا ، حيث أنه يقوم فقط بتسجيل انطباعات الحس ، فالعقل صفحة بيضاء تطبع عليه الخبرة كل شيء[2] .

هذا يعني أن العقل بالنسبة لجون لوك صفحة بيضاء وأن جميع الاشياء ترد اليها من حواسنا بمعنى أن العقل خالي من أي أفكار مسبقة ، فيذهب لوك الى أن كل الافكار أصلها في الحواس باعتبارها المصدر الاول لتلقي الانطباعات والادراكات ، ولان لوك رفض نظرية الافكار فطرية فقد ذهب الى أن كل أفكارنا ترجع الى الخبرة التجريبية[3] .

يرفض جون لوك مبادئ أخلاقية فطرية كالفضيلة لان وجودها نادر في العالم الانسانين ، بالرغم من الاعتقاد أنها قيمة واضحة قائمة بذاتها[4] ،ولا يتوصل اليها الانسان

---

[1] وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديث، ترجمة محمود سيد احمد، التنوير للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص 157.

[2] رونالد نستر ومبرج، تاريخ الفكر الاوربي الحديث 1601- 1977، دار القارئ العربي، القاهرة، ط3 ،1994، ص 157.

[3] Jhon locke , ibid; 01,p76.

[4] ibid ,P76.

إلا عندما يتفاعل مع الاخرين ويعرف الصواب من الخطأ ويميز بين البشر على أساس سلوكهم وهذه كلها خبرات تجريبية[1] .

فالفضيلة عنده ليست فطرية لان من عادة البر أن يسلكه حسب المصلحة الشخصية وحسب مبدأ جمي المنفعة وتجنب الخسارة وتعظيم الثروة والسحب نحو اللذة وتجنب الالم، فاذا كانت فطرية لرأينا كل الناس فضلاء[2] .

ان وجود الفضيلة نادر في العالم الانساني وهي ليست فطرية لأنها مختلفة من شخص لآخر كل حسب مصلحته الشخصية.

ذلك لأن كل أمة لديها المبادئ الاخلاقية الخاصة بها والمختلفة عند باقي الامم، فالصواب عند أمة يمكن أن يكون خطأ عند أمة أخرى والخطأ عند أمة يمكن أن يكون صواب عند أمة أخرى[3] .

فاذا كانت المبادئ الاخلاقية فيه فطرية فلماذا نراها تنتهك و لا تتبع لدى غالبية الشعوب[4] ان المبدأ القائل أن المبادئ الاخلاقية فطرية لو كان صحيحا نرى بعضها لا تطبق في بعض الشعوب.

لقد تمسك جون لوك بمعنى واحد فقط للفطرية، فليست الافكار هي الفطرية عنده، بل ملكات الذهن من تذكر وتخيل ودمج بين الافكار وبعضها وكذلك الرغبة والارادة،

---

[1] ibid, p79.
[2] johon lock ,book; 01,81.
[3] ibid,p81.
[4] ibid,p89.

فالفهم هو الملكة التي تميز الانسان عن باقي الكائنات الحية كما أن العين مثلا هي وسيلة الانسان لرؤية الاشياء فان الفهم هو وسيلة في الادراك والمعرفة.

جون لوك لا ينكر وجود ملكات ذهنية كالتذكر، أي الذاكرة والخيال والدمج والتركيب بين الافكار والرغبة والإرادة، فالفهم هو ملكة يميز الانسان عن باقي الكائنات الاخرى.

فأفعال الذهن هي مصدر الافكار الجديدة غير الموجودة في التجربة ، ويذهب لوك الى أن المفاهيم العقلية المجردة لم تكن لتوجد في الذهن لولا احتكاكه بالتجربة[1] .

[1] IBID,P67.

خلاصة الفصل الأول:

وما نخلص اليه من خلال الفصل الاول هو طبيعة الافكار النظرية عند رينيه ديكارت فهو يقول بالأفكار الفطرية والقدرة التي غرسها الله فينا أي في عقولنا للوصول الى الحقيقة بواسطة الافكار الواضحة والتميز وهاته الافكار أو الادراكات لا علاقة لها بالحواس بل هي ادراكات عقلية خالصة فالإدراك هنا يقوم على أساس الافكار الجلية الواضحة، فإدراك العالم الخارجي لا يتم ادراكه ادراكا مباشر بالحواس.

أما بالنسبة الى دافيد هيوم فهو عكسه تماما انطلاقا من معرفتنا مدركات بسيطة تتلقاها أذهاننا وتتفاعل معها، فهو يقسم هذه الادراكات أو المدركات الى قسمين:

أقار حسية وأفكار وهما يختلفان عن بعضهما البعض إلا في درجة القوة لكليهما فالآثار الحسية هي المرجع الاخير الذي نقيس به صحة الافكار وحقيقتها، فالأفكار لا يمكن أن تتكون وتنشأ إلا اذا سبقتها في ذلك الاثار الحسية أو الانطباعات وهو يرجع كل معارفنا ومدركاتنا الى التجربة الحسية.

وهذا ما ذهب اليه جون لوك من خلال رفضه للأفكار الفطرية ونقدها واستبعادها عن دائرة المعرفة فكل معارفنا وأفكارنا أصلها تجريبي.

الفصل الثاني

طبيعة المعرفة عند جون لوك
وأبعادها الإبستيمولوجية

الفصل الثاني: طبيعة المعرفة عند جون لوك وأبعادها الإبستيمولوجية

تمهيد:

بعدما رفض "جون لوك" الافكار الفطرية واستبعادها لقد حاول أن بعرض نظريته الخاصة من خلال ارجاع أصلها الى الخبرة الحسية، فطبيعة الافكار عنده تحمل صبغة تجريبية فلقد جعل من الافكار محور كتابه ومحور نظريته المعرفية وخصص محور لها الجزء الاكبر في كتابه.

ولقد قام جون لوك بتقسيم الافكار وتصنيفها وخصص جزءا من كتابه حول الكلمات الذي فيه علاقة الالفاظ والافكار وعلاقتها بمعانيها وتأثير اللغة على الفكر والسؤال الذي يطرح نفسه هو:

كيف كان تصنيف جون لوك للأفكار؟ وما هو مدى تأثير اللغة على الفكر؟.

المبحث الأول: أصل وتكوين الأفكار وأنواعها عند لوك

" الأفكار هي طائفة كبيرة من التصورات والمفاهيم بصرف النظر عن مدى عمومتيه فالأفكار عنده تضمن كلمات مثل البياض ، الصلابة ، الحلاوة ، التفكير، الحركة الانسان الفيل ،الجيش ،السكر[1] " وجعل من الافكار محور كئابة " مقال في الفهم البشري " وبالتالي محور نظريته المعرفية فالأفكار هي موضوع للانتباه أو الوعي[2] اذ يعتقد جون لوك فيما يتعلق " أن بعضها البسيط والبعض الاخر مركب " ويرى أن هذه المسألة هامة، ليس لأن هناك بعض موضوعات فيزيائية تتصف بالبساطة والبعض الاخر يتصف بالتركيب وإنما هذه التفرقة تساعد على التمييز بين الحالات التي تكون فيها عقولنا فعالة[3]فالأفكار تنقسم الى قسمين :

1- **الأفكار البسيطة** : هي الافكار المرتبطة بصفات الاشياء أو الشيء المحسوس مثل الصلابة والبرودة والامتداد والشكل[4] ففكرة الصلابة مقلا :تتلقاها عن طريق اللمس لدينا وهو ينبع من مقاومة قبول التي نجدها في الجسم الى المدخل لأي هيئة أخرى في مكانها حتى أنها تركب ، ولا يوجد أي فكرة تتلقاها باستمرار أكثر من الاحساس من الصلابة[5].

---

[1] John lock , Essay, book02, p86.

[2] ابراهيم مصطفى ابراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم، مرجع سابق، ص 263.

[3] ريارد شاخت، رواد الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 136.

[4]John locke , essay , book2 ,p102.

[5] Ibid ,p105 .

فالأفكار البسيطة يتلقاها الذهن من الادراكات الحسية ويجب أن تنتبه الى نقطة يساء فهمها لدى جون لوك وهي نشأة الافكار البسيطة فالكثير من نقاده يعتقدون أن مصدر الحواس والادراكات الحسية[1] هي صور ذهنية بسيطة ومباشرة للأشياء وليست احساسات فالكرة الحمراء مثلا :

إدراك حسي تستقبله الحواس أما اللون الاحمر نفسه هو فكرة صورة ذهنية مجردة يتوصل اليها الذهن البشري من تلقيه ادراك حول الاشياء الحمراء[2] فالذهن يكون سلبيا في تلقيه للأفكار البسيطة : " ان هذه الافكار تعتبر الادوات لكل معارفنا والعقل ليس لديه دخل على تكوينها أو تحطيمها[3] " .

فالأفكار البسيطة هي مالا تقبل التحليل الى أفكار ابسط منها وأهم خواصها:

فهي ما كان مبدأها الخبرة الحسية وما كان معطى حسيا في مقابل الفكرة التي يوجدها العقل أو يكون العقل عنصرا في تأليفا[4] .

فهي صفات الاشياء مثل البرودة والصلابة والحلاوة والالوان وهي صفات تتبع ، كما تعتبر هذه الافكار مادة معارفنا ويحصل عليها العقل من الخبرة الا أن العقل لا يستطيع أن يصطنعها فالعقل هنا سالب[5] بمعنى أنها أفكار بحصل عليها العقل من الخبرة الحسية وهي أفكار لا تقبل التحليل .

---

[1] Ibid,p102.
[2] Ibid,p109.
[3] انظر، ابراهيم مصطفى ابراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، مرجع سابق، ص263 .
[4] المرجع نفسه، ص 263.
[5] المرجع نفسه، ص 263.

لأفكار أبسط منها وتعتبر هي المادة التي تتكون منها المعرفة[1] .

– ويعتقد جون لوك أن الافكار البسيطة لا يستطيع العقل الانساني ابتكارها وان كان يستطيع ابتكار فكرة مركبة ومثال ذلك أن الاعمى منذ الولادة لن يجد في عقله فكرة الالوان والاصم كذلك يمكن أن يصفها له الاخرون لكنه هو ذاته لا يستطيع أن يحصل عليها بنفسه.

– فالأعمى والأصم ليس لديه أفكار متميزة عن اللون القرمزي ولا على صوت البوق وفيما يتعلق باللون القرمزي مع الاعمى الذي يتوهم أن فكرة القرمزي كان مثل صوت البوق[2]

فالأعمى هنا لا تتكون لديه أدنى فكرة عن اللون القرمزي لأنه لم يره قط فكيف له أن يعطينا فكرة عن شئ لم يره مسبقا ، والأصم الذي لا يملك فكرة عن صوت البوق كيف هو ، فالأفكار هنا لا يحصل عليها العقل عنوة بل تأتي وتتكون عن طريق الحواس.

فلا تتعلق بساطة الفكرة بأية خاصية داخلية للفكرة ، فالأفكار البسيطة هي تلك التي لا يمكن نقلها الينا لذا كنا لا تحوزها بالتجربة ، ومنها فكرة البارد وفكرة المرّ[3].

يرى جون لوك أن حواسنا لا تزودنا بغير الافكار البسيطة وتزودنا حواسنا بقدر مختلف وكثير من الافكار الجزئية عن مختلف الالوان والمذاقات والروائح[1].

---

[1] ابراهيم مصطفى ابراهيم ، مرجع سابق ، ص 264 .

[2] john locke,essay,boock02,p101.

[3] ريتشارد شاخت ، رواد الفلسفة، مرجع سابق ، ص 138 .

فالأفكار البسيطة عند لوك هي أسبق سيكولوجيا من الافكار المركبة وأنه بالرغم من أن المرتبة قد توجد كوحدة – إلا أننا لا ندركها كوحدة وإنما ندركها بالأحرى بطريقة مباشرة كعدد كبير من الافكار البسيطة.

ذلك لان الافكار المركبة تتكون من مجموعة الافكار البسيطة لهذا فالفكرة البسيطة تكون أسبق من الفكرة المركبة، لا ندركها كفكرة واحدة أو كوحدة ندركها على أساس أنها مجموعة كبيرة من الافكار البسيطة.

يقول:" أن الافكار البسيطة توصف بالوضوح عندما تتخذ شكلا يتماثل والأشياء ذاتها التي أخذت منها أو التي قد تعرضها في احساس حسن التنظيم أو مدرك حسن التنظيم بمقدار ما تحتاجه المطابقة والأصل وتوصف بالغموض تبعا لابتعادها عن هذه المطابقة[2] "

فجون لوك يذهب الى أن الافكار البسيطة في العقل تقابلها صفات في الاجسام بمعنى أن العقل يستقبل من الاجسام طبيعة مختلفة ، فالأفكار من طبيعتها أن تكون ذهنية ومجردة والصفات من طبيعتها تكون حسية لكن الافكار البسيطة في النهاية انعكاس ذهني لصفات الاشياء كما أن لون العقل الانساني مرآة تنعكس عليها صفات الاشياء ومن طبيعة المرآة أن تعكس صورة لا تعيد انتاج الشيء الحقيقي فالعقل هو مرآة الاشياء[3] والمعاني البسيطة تتكون من اربعة طوائف حسب طرق الحصول عليها:

---

[1] ريتشارد شاخت، رواد الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 138.

[2] المرجع نفسه، ص 134.

[3]John locke, essay, Book02, p112.

أولا : معاني محسوسة بالحواس الظاهرة مثل : قولنا بارد ، صلب ، أملس ، خشن ، مر امتداد[1] وهي الافكار التي يكون القبول لها الا بمعنى واحد مثل الضوء والألوان كالأبيض والأحمر و الاصفر ، الازرق ، مع عدة درجات أو ضلال و الخلائط كالأخضر والقرمزي والأرجواني تأتي إلا من خلال العيون ، والباقي كجميع أنواع الضوضاء والاصوات والنغمات تأتي امن خلال الاذنين والعديد من الاذواق والروائح من الانف والحنك[2].

فهي الافكار تصل الى العقل بواسطة حاسة واحدة كأفكار اللون والصوت والرائحة، فالصوت عن طريق حاسة السمع والرائحة مثلا تأتينا عن طريق الشّم.

ثانيا : الافكار التي تحصل عليها عن طريق أكثر حاسة واحدة كأفكار الصلابة التي تشترك فيها حاستي اللّمس والبصر[3].

وكتب لوك أن الافكار التي تحصل عليها عن طريق أكثر من حاسة واحدة هي أفكارنا عن المكان والامتداد والأشكال والسكون والحركة لان هذه الافكار تترك انطباعات يمكن ادراكها كل من العينين واللمس وهناك أفكار أخرى يقال أنها تجمع بين البساطة وكونها مستمدة من جميع حواسنا يعني كالامتداد والوحدة والتعاقب والقوّة[4].

---

[1] ابراهيم مصطفى ابراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم، مرجع سابق، ص 263 .

[2] Ibid,p10.

[3] ابراهيم مصطفى ابراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم، مرجع سابق، ص 263 .

[4] ريتشارد شاخت، رواد الفلسفة الحديثة ، مرجع سابق ، ص 139 .

بمعنى انها تستطيع الحصول على أفكار عن طريق أكثر من حاسة مثلا فكرة الحركة فنحن نحصل عليها عن طريق حاستي البصر واللمس معا وهذان النوعان من الافكار يعرفان بأفكار الاحساس بمعنى سواء التي حصلنا عليها عن طريق حاسة واحدة أو التي حصلنا عليها عن طريق أكثر من حاسة واحدة.

ثالثا : المعاني المدركة باطنا وهي التي ترجع الى الذاكرة والانتباه والارادة[1]

فهي أفكار نحصل عليها عن طريق التأمل[2] وهي الافكار التي تتكون في العقل بواسطة التأمل الذاتي وهي العمليات العقلية.

رابعا : المعاني المحسوسة والمعاني المدركة باطنا معا ، مثل معاني الوجود والوحدة والسلام والدوام واللذة والالم يصاحبان جميع معانينا الظاهرة والباطنة تقريبا والوجود والوحدة معينات يمكن أن يثيرهما فينا كل احساس خارجي وكل فكرة نفسية والدوام معنى ينشأ من ملاحظة الزمن الذي يقتضي بين معايننا في تعاقبها[3].

فلوك يرى أن فكرة الزمان والمكان هما من الافكار البسيطة ففكرة الزمان من تعاون مصدري المعرفة معا ، الحواس والفكر فندركه بالتأمل في تعاقب مشاعرنا و أفكارنا في العقل كما ندركه في تتابع الاحداث والأشياء بواسطة الحواس فيقول اذ هما يتلاقيان في

---

[1] محمد علي أبو زيان ، تاريخ الفكر الفلسفي ،مرجع سابق ، ص 168 .

[2] ريتشارد شاخت ، مرجع سابق ، ص 138 .

[3] يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق ، ص 139 .

أن كليهما لا متناه غير محدود ويختلفان في أن المكان يمتد في عدة اتجاهات أما الزمان فلا يمتد إلا في اتجاه واحد فقط[1].

2- الافكار المركبة:

يصنفها العقل من الافكار البسيطة عن طريق العمليات الذهنية التي بقوم بها وبمعنى هذا أن الافكار المركبة ليس مجرد صور ذهنية عن الاشياء مثل : الافكار البسيطة بل هي من انتاج العقل[2] ، والفرق بينهما وبين الافكار البسيطة أن الافكار البسيطة تشير الى أفكار بسيطة أخرى[3] فالأفكار المركبة ي نتيجة قيام العقل بعملياته الفكرية المختلفة : فالعقل هنا يقوم بدور ايجابي عكس ما رأيناه في الافكار البسيطة والافكار المركبة تتكون لدينا من خلال مجموعة من الافكار البسيطة.

وليس كونها من انتاج العقل ، انها مجرد أوهام بل هي حقيقة[4]، مثلا نقوم بجمع الافكار البسيطة الاتية في البياض والحلاوة ، الصلابة فإننا نحصل على فكرة مركبة قطعة السكر[5]،ففي العقل طائفة كبيرة من الافكار المركبة مثل فكرة الجيش لأنه يشير الى مجموعة من الجنود عبارة عن أفراد كل فرد منها جندي واحد والإحساس الذي يتلقاه المرء وهو ينظر الى هذه المجموعة عبارة عن أفراد جنود مجتمعين معا أما كون هذه المجموعة تشكل جيشا .

---

[1] زكي نجيب محمود ، قصة الفلسفة الحديثة ، ص210 .

[2]John lock , essay , book 02 , p146 .

[3] Lbid ,p147 .

[4] Lbid ,p148.

[5] Lbid ,p52.

ففكرة مركبة يتوصل اليها العقل عن طريق اضافة هؤلاء الافراد المتشابهين الى بعضهم فالإدراك الحسي لا يرى شيئا اسمه جيش بل يرى جنودا. والعقل هو الذي يفهم معنى كلمة جيش لا الحواس[1] .

وفكرة الجمال فكرة مركبة لأنها عدد من الافكار البسيطة مثل فكرة التناسق وفكرة اللّون والشكل وشعور الارتياح أو الاستحسان الذي يشعر به المرء عند رؤية الشيء الجميل.

فالذهن يكون فاعلا في انتاجه للأفكار المركبة ذلك لأنها تكون نتيجة تفكير حول العلاقات بين ما يتلقاه من أفكار بسيطة ، فالسببية علاقة بين شئ واخر يدركها العقل ، في تفكيره حولهما معا ، والجوهر وأعراضه أيضا فكرة مركبة تنتج في العقل من تفكيره حول العلاقة بين الشيء وصفاته[2]

فهي مثل العلاقة والسببية والجوهر والأعراض وهي ناتجة عن التركيب والدمج بين الافكار البسيطة ، فالأفكار المركبة اذن تعرض عن نشاط ذهني وعقلي أنتجها لكنها ليست حاضرة جاهزة في المدركات الحسية[3].

فيقوم العقل بدور ايجابي في ايجاد الافكار المركبة فإذا كان العقل سلبيا في مواجهة الافكار البسيطة التي يستعملها وتخطها التجربة دون ادخل منه فان دور في الأفكار

---

[1] Lbid ,p152.

[2] يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص139 .

[3] المرجع نفسه، ص 140.

المركبة هو ايجابي لأنه لا توجد قوّة تستطيع تركيب الافكار البسيطة غير قوّة العقل وهو يقوم بتكوين وضع المركبة من خلال مجموعة من الافكار البسيطة[1].

فالأفكار المركبة اذن هي نتيجة للعمليات الذهنية التي يقوم بها العقل وتنقسم هذه العمليات الى عمليات أو أنواع ينتج كل نوع منها نوعا من الافكار المركبة وهي :

أ/ الدمج : حيث يجمع العقل فكرة بسيطة مع فكرة أخرى للوصول الى فكرة مركبة كالمثلث الذي يعتمد على الدمج بين فكرة الضلع وفكرة الزاوية[2] وهي الجمع بين عدة أفكار بسيطة في مجمع واحد وهكذا يتم اجراؤها ، أي عن طريق الجمع بين فكرتين بسيطتين أو أكثر في فكرة واحدة وهذا ما يعرف بالتجميع أو التركيب مثل فكرة الانسان[3].

ب/ التعلق : وفيه لا يدمج العقل فكرة بأخرى بل يحافظ على الفكرتين منفصلتين ومستقلتين لكن يربط بينهما بعلاقة مثل ، ادراك العلاقة بين شيء سابق وشيء لاحق باعتبارها سببه بينهما وكذلك أفكار المكان التي تعتمد على ادراك علاقات التجاور وعلاقات الجهة مثل اليمين واليسار والأمام والخلف والأعلى والأسفل ، بمعنى عن طريق المقارنة بين فكرتين دون توحيدهما في فكرة واحدة[4].

---

[1] ابراهيم مصطفى ابراهيم ، الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم، مرجع سابق، ص 264.

[2] John locke , Essay 02 ,p153.

[3] Lbid , p153 .

[4] Lbid ,p156.

ج/ التجريد : حيث يجمع العقل طائفة من الاشياء المتشابهة ليدرك ما بينها من اشتراك وعمومي وهذا هو مصدر الافكار العام أي الكليات والمجردات مثل فكرة الانسان التي يتوصل اليها العقل بتجريد العام والمشترك في الجنس البشري ،بمعنى تقسيم الافكار وفصلها عن جميع الافكار الاخرى التي تصاحب لهم في وجودها الحقيقي والواقعي ، وهي أفكار مجردة[1].

فالأفكار المركبة انها الافكار التي استطعنا الحصول عليها اعتمادا على الربط بين جميع مختلف الافكار البسيطة مثلا : فكرة الرصاص هي فكرة مركبة اذ يستطيع تجزئتها الى مكونات بسيطة مختلفة فإذا ادمجنا الجوهر بالفكرة البسيطة الخاصة باللون الأغير ودرجات معينة من اللون والصلابة والقابلية بلا امتداد ولا انصهار ستحصل على فكرة الرصاص[2].

يقول لوك عن الافكار المركبة :" اذا امتلا العقل بهذه الافكار البسيطة كان له من القوة ما يستطيع به أن يستعيدها ويستشيرها وأن يقارن بها ثم يؤلف من أجزائها أفكار لا نهاية لاختلافها وتنوعها وبهذا يمكنه متى شاء أن ينشئ أفكار مركبة جديدة "[3].

فهي توصف بالوضوح عندما تتألف من مكونات من الافكار البسيطة الواضحة بينما تتصف بالغموض اذا اتصف أي مكون من مكوناتها أو هي جميعا بأنها من الافكار البسيطة الغامضة[4] بمعنى اذا كانت الافكار البسيطة واضحة فالأفكار المركبة

---

[3] زكي نجيب محمود ، قصة الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص210.

[4] المرجع نفسه، ص 139 . 140.

بالضرورة تكون تتصف بالوضوح والعكس فإذا كانت الافكار البسيطة غامضة فالأفكار المركبة بالضرورة تكون تتصف بالوضوح والعكس فإذا كانت الافكار البسيطة غامضة فالا فكار المركبة تكون غامضة.

– تنقسم المعاني المركبة الى طائفتين:

– طائفة تؤلف فيها النفس المعاني البسطة في معنى واحد مثل: معنى الذهب أو معنى الانسان.

– طائفة تؤلف فيها النفس والمعاني أو المعاني البسيطة بحيث تمثل مع ذلك أشياء متمايزة مثل: معاني الاضافة بالإجمال كمعنى البنوة يجمع معنى الابن ومعنى الاب وكمعنى العلة يجمع بين شيء موجد ومعنى شيء موجد منه.

– فالطائفة الاولى بدورها تنقسم الى قسمين قسم يشمل معاني الاعراض وهي معاني أشياء لا تقوم بأنفسها كالمثلث والعدد وقسم يشمل معاني الجواهر وهي معاني أشياء تقوم بأنفسها كالإنسان وقسم يشمل العلاقات التي تحدث بين فكرة أخرى يكون للواحدة قوة استداء للأخرى[1].

– الاعراض : تنقسم الاعراض الى " أعراض بسيطة " وهي المركبة من معنى بسيط واحد مع نفسه كالعدد المركب من تكرار الوحدة والمكان والزمان من أجزاء متجانسة[2] هي الافراد البسيطة متكررة أو ممتدة والامتدادات تقاس بوحدات كالسنتمتر أو الكيلومتر ، وأيضا فكرة بدورها تقاس بوحدات بسيطة كالدقائق والثواني وغيرها ، وكذلك

[1] يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق ، ص 139 .

[2] مرجع نفسه، ص 139 .

العدد مثلا : عشرة اذا تكرر عشر مرات وجدنا أن العدد عشرة ما هذا الا تكرار ، فالأحوال البسيطة تعتمد على تكرار الاشياء أو الوحدات المتشابهة تماما ، ففكر الزمان والمكان يمكن تصوره على أنه لا متناهي اذا واصلنا التكرار الى ما لا نهاية ونفس الشيء مع العدد[1]

– أما الاعراض المركبة : مثل فكرة السعادة فهي فكرة مركبة من عور بالارتياح والجمال والشعور باللذة فهي أعراض مختلطة ومركبة من معاني بسيطة متنوعة مثل معنى الجمال المركب من لون وشكل يدخلان السرور في الرائي ومعاني القتل والواجب والصداقة والكذب والرياء.

– هذا يعني أن الافكار ليس لها وجود مستقل عنا فهي عبارة عن أفكار مركبة تدل على صفات لا تقوم بذاتها بل توجد بذاتها بل توجد في غيرها كالجمال في الزهرة والتناسق في الصور

الجواهر : أما الجواهر فهي الافكار التي تقابل الاشياء الحقيقية الموجودة في الخارج والواقع أننا نجهل حقيقة هذه الاشياء في ذاتها ، ولسنا نعرف الا بواسطة هذه الافكار التي نسميها الجواهر ، فالجوهر شيء مجهول لنا نجمع حوله مجموعة من الصفات الجزئية التي تأتي بها الحواس مثلا : البرتقالة لونها جاءتك به العين وملامسها جاءتك به الاصابع ورائحتها جاءتك به الانف وما الى ذلك من سائر الافكار البسيطة ،

[1] John locke , Essay , book 02 ,p209 .

فكل علمك عن البرتقالة مجموعات من الافكار البسيطة التي فرضت الى جانبها وجود شيء (أم جوهر) تتعلق به وتستقر فيه[1].

– قطعة الثلج مثلا تتصف : بالبياض والصلابة والبرودة هذه صفات بسيطة ملازمة لقطعة الثلج والحامل التي تحمل عليه هو الجوهر أو جوهر الثلج ، ولكن في الواقع لا ندركه البتة شيء يدعى جوهر الثلج أو الثلاجية[2].

– بمعنى أن فكرة الجوهر لا نحصل عليها ولا تتكون لدينا الا عن طريق ضم تلك المجموعات من الافكار البسيطة التي تدرك في التجربة الحسية و في ملاحظات جوانس البشرية انها موجودة سويا لذلك الجوهر مثل : فكرة البياض والصلابة والبرودة يطلق عليها اسم واحد هو الثلج وبذلك لقد رد جون لوك الجوهر الى صفاته المدركة المحسوسة بمعنى صفاته البسيطة يتصف بها الثلج والتي يستقبلها الذهن فكل ما نلاحظه مجموعة من الافكار البسيطة المجتمعة والمترابطة بصورة دائمة ومنتظمة.

يقول لوك : " لا تتكون لدينا فكرة الجوهر الا عن طريق ضم تلك المجموعات من الافكار البسيطة التي تدرك في التجربة وفي ملاحظات حواسنا البشرية وهكذا نصل الى تكوين أفكار عن الانسان والذهب ..الخ "[3].

ففكرة الذهب والانسان وغيرها من الافكار لا تعني سوى ضم مجموعة الافكار البسيطة مع افتراض هذا الجوهر.

---

[1] زكي نجيب محمود ، قصة الفلسفة الحديثة ، ص 211 .

[2] Lbid , p 210.

[3] John locke , essay , book 02 p279 .

– فجة نلوك يعتقد أن الافكار البسيطة مترابطة معا بصورة دائمة ومنتظمة مما يجعلنا نفترض عودتها الى شئ واحد تطلق اسم واحد ولما كنا لا نستطيع أن نتصور هذه الافكار البسيطة قائمة بذاتها فإننا نفترض أن هناك موضوعا جوهري توجد فيه ، ولما كان الجوهر فكرة غير واضحة فهي لا تغدوا أن تكون مجرد افتراض شئ نجهله ما هو واكنه يحمل الصفات التي تحدث فينا الافكار البسيطة[1]، فالجوهر هو مجرد افتراض نضعه كلما أردنا البحث عن قوام للصفات أو حامل لها فلا يمكن لها أن تقوم بذاتها[2].

– فالجوهر عند جون لوك نوعين :

أ/ جوهر مادي : وهي الاجسام حامل للصفات الحسية الاولية .

ب/ جوهر روحي : وهي على نوعين :

* جواهر روحية متناهية وهي ....

* جوهر روحي واحد لا نهائي وهو الله تعالى[3] فلم يستطع لوك حل مشكلة الجوهر مثله مثل بقية الفلاسفة وربما يعود سبب اخفاقه في ذلك الى أن فكرة الجوهر عنده فكرة وهمية وليست حقيقية أو واقعية ملموسة .... فضلا على أنه مشكلة زائفة ، أي ليست حقيقية مثلها مثل خط غرينيتش وخطوط الاستواء ...الخ

[1] ابراهيم مصطفى ابراهيم ، الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم، مرجع سابق ، 270 .

[2] المرجع نفسه 270 .

[3] نفسه، ص 271.

العلاقات:

هي أفكار تعبر عن روابط معينة ، مثل الابوة والبنوة وعلاقات أكبر وأصغر من غيرها فعلاقة البنوة تجمع بين فكرة الاب وفكرة الابن.

– فالفكرة هنا تعبر عن شيء سابق عليها مثل : فكرة الوفاء لان هذه الفكرة لا يمكن أن توجد الا في الشخص الوفي ، وأيضا فكرة القتل فهو فعل لا يحدث بذاته بل هو بحاجة الى فاعل[1]

– فأفكار العلاقات تتحقق دون شروط مثل ايحاء المعاملة بالمثل كالأب وابنه وقضية أكبر وأقل والتأثير وللوهلة الاولى يدرك الجميع العلاقة للاب والابن والزوج والزوجة وهذه المصطلحات تبدو تقريبا أن كل واحدة تنتمي الى الاخرى من خلال العرف وطيب الخاطر والاجابة عن بعضها في الذكريات أو المناسبات الشعبية[2].

العلاقات تنتج من التأليف بين أفكار متمايزة فمعنى البنوة يجمع بين فكرتين الابن والاب ، ومعنى العلية هو الاصل ليشير الى تعاقب ظواهر تنشأ بين علاقات الذهن من ارتباط بين ظاهرة سابقة وظاهرة لاحقة اذا أوجدت الظاهرة السابقة ويكون هذا التوقع ذاتيا بحتا لا مدخل فيه للضرورة أو الموضوعية[3] فالعلاقات تتكون من خلال أفكار أو فكرتين تجمع بينهما علاقة العلية أن كل فكرة لها القدرة والقوة على أحداث الفكرة الاخرى واستدعاءها.

---

[1] John locke, Essay , book02 , p 302.
[2] Lbid, p 303 .
[3] أنظر وليمكلي رايث ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، ص 165 .

– ومن أفكار العلاقات : أفكار الزمان والمكان والذاتية والتباين وعلاقات النسبية والطبيعية والتنظيمية والخلفية[1].

3– الصفات الاولية والصفات الثانوية :يقول لوك " بإمكاننا التمييز بين نوعين من الكيفيات التي تخص الاجسام أو تلك الكيفيات التي لا تنفصل عن الاجسام والتي أسميها كيفيات أولية مثل الامتداد والحركة وهي التي تمدنا بالأفكار البسيطة وكيفيات أخرى مثل الالوان والأصوات والتي أطلق عليها اسم الكيفيات الثانوية[2].

من هذا القول ندرك بأن جون لوك يرى أن هناك طرفين من الصفات تميز الاشياء الاولية والأخرى ثانوية وهي كالتالي :

أ– الصفات الاولية :هي مجموعة من الصفات التي يمتلكها الجسم في حدّ ذاته ول يمكن أن تنفصل عنه وتؤثر على العقل عن طريق القوّة مثل : الامتداد والشكل أو الصلابة فاذا قمنا بتقسيم جسم ما الى أجزاء صغيرة لا يضيع الامتداد أو الشكل أو الصلابة بل تضل هذه الصفات كما هي حتى لو أصبحت عبارة عن مزيج واحد فإنها تحافظ على خصوصياتها ومميزاتها[3].

– هذا يعني أنها مجموعة من الصفات التي لا تنفصل عن الجسم أي أنها تبقى قائمة في الاشياء ذاتها وتبقى قائمة حتى في أجزاء الجسم، فحبة القمح مثلا قمنا بتقسيمها وتجزئتها الى عناصر صغيرة الا أنها سوف تحتفظ بذات الصفات التي تمتلكها

[1] محمد علي أبو زيان ، تاريخ الفكر الفلسفي ،مرجع سابق، ص169 .

[2] John locke essay book 02 p 114.

[3] Lbid ,p 117.

في الاصل. ويقال أن الصفات الاولية أنها مجرد موجودة في الاشياء المادية[1] ، يقول جون لوك :" لا يمكن أن تنفصل عن الجسم في أي حالة من حالاته"[2] فلو أنك قمت بتقسيم أي موضوع مادي الى أجزاء بقدر ما تستطيع أن تدركها فإنها تستمر في امتلاك نفس الصفات الاولية التي أشرنا اليها .

– اعتقاد لوك في الحقيقة المستقلة للصفات الاولية مستمدة بوضوح من معرفته بالفيزياء و الكيمياء[3] فان كتلة من النّار والثلج وعددها وشكلها هي صفات موجودة فيها بالفعل، لكن الضوء والحرارة أو البرودة لا تكون صفات موجود فيها بالفعل مثلما لا يكون المرض أو الالم موجودا في الغذاء ذاته[4].

– فالصفات الاولية مستقلة في وجودها عن الذات وتوجد قائمة في الخارج فيما يطلقون عليه اسم المادة أو الجوهر المادي ، فإذا كنت أسلم بسهولة بأن حلاوة هذه القطعة من السكر ليس قائمة في السكر بل في مذاقها الحلو على لساني وفي تأثري الذاتي بهذه الحلاوة فإنني لا أستطيع أقول نفس الشئ عن حجم هذه الكرة أو عن طول هذه المائدة المستطيلة الممتدة أمامي اذ أنه يبدو أن هذه الصفات الاخيرة كلها موجودة في الخارج وليس لذاتي سلطان عليها فهاته الصفات الاخيرة صفات واقعية أما حلاوة

[1] ابراهيم مصطفى ابراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم، مرجع سابق، ص 267 .

[2] وليم كلي رايت ، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 161 –162.

[3] المرجع نفسه، ص 161 .

[4] نفسه، ص 161.

السكر صفة ذاتية بمعنى أن النّاس مثاليون فيها بحلاوة السكر وواقعيون فيها يتعلق بحجم المائدة وشكلها وامتداداتها[1].

– وقد كان جون لوك بل كانت المدرسة الانجليزية كلها تأخذ بالمذهب الواقعي فيقول لوك: "ان الافكار البسيطة التي تحدث في عقولنا من اتصالها بالأشياء ليست وهما صوره الخيال ولكنها نتيجة طبيعية مطردة للأشياء الخارجة عنا وإذن فهي تطابق أصولها الخارجية كل التطابق لأنها تقدم لنا الاشياء بالصورة التي في مقدورها أن تكونها في أذهاننا[2] .

ب/ الصفات الثانوية : هي ليست مرتبطة بالجسم بل هي قوة متضمنة فيه تعمل على انتاج احساسات معينة في العقل مثل اللون والرائحة والطعم ، فالجسم يمكن أن يتغير لونه وطعمه ورائحته ويبقى مع ذلك نفس الجسم وتكون هذه الصفات الثانوية هي تأثر العقل به[3].

– فأفكار الصفات الثانوية لا تشبه صفات الموضوعات الفيزيائية الحقيقية عن طريق تجارب بسيطة " فانك ستجد أن اللون الابيض الناصع يستبدل الى لون قذرو سيتحول الطعم الحلو الى طعم زيتي ، فما عساه أن يكون التبدل الحقيقي الذي يمكن أن يضعه دق يد الهاون في أي جسم سوى أنها تبدل تسيجها وافرض أن احدي يديك ساخنة والأخرى باردة وأنك وضعتهما معا في اناء الماء المعتدل في درجة الحرارة كما يسجلها " ترمومتر " فان الماء سيبدو في هذه الحالة باردا ليد ودافئا ليد أخرى وهما لا يمكن أن

[1] يحي هويدي، قصة الفلسفة الغربية، مرجع سابق ، ص 63 .

[2] زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 215 .

[3] John locke , Essay , book 02 , p117 ;118.

تشبه احساسات اليدين في صعاتهما وهما موجودتان في الماء فهما لا يمكن أن يكونا شيئا سوى أثار زيادة أو قلة حركة الاجزاء الصغيرة لأجسامنا تسببها جزئيات الماء[1] فهي صفات لديها القدرة على احداث احساسات متعددة فينا بواسطة صفاتها الاولية عن طريق الكتلة والشكل والبناء أو التركيب وحركة أجزائها تغير المحسوسة كما ذكرنا مثل : الالوان والأصوات والأطعمة والروائح ونعومة الملمس أو خشونته فهي تحدث فينا بفعل الدقائق غير المحسوسة في حواسنا أو على نحو ما نقول اليوم بتأثير الاشعة الضوئية

التي تسقط على الشبكية للعين أو الموجات الصوتية التي تصل الى طبلة الاذن أو الاتبعاثات الكيميائية التي تصل الى شعيرات الشم في الانف[2].

فهي اذن صفات لا توجد في الاشياء ذاتها بل مجموعة قوى في الجسم تحدث فينا هذه الاحساسات بواسطة الصفات الاولية كالإحساس بلون الرائحة والذوق أي صفات ترتبط بالذات لا بالموضوع .

–يقول لوك:" ان ما هو حلو وأزرق أو حار في الفكر ليس الا كتلة وشكلا وحركة معينة لأجزاء غير محسوسة في الاجسام ذاتها"[3]، فليس الاحمرار أو الحلاوة التي تنشأ عندك عن شيء ما صفة موجودة في الشيء نفسه انما هي نتيجة لعلاقة اتصال بالشيء بحواسك فكما أن الشمس تبعث الحرارة في الشمع فتذيبه مع أن السيولة التي استحدثت

[1] وليم كلي رايت ، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق ، ص 161 .

[2] المرجع نفسه، ص 267 .

[3] نفسه ، ص 267 .

الشمع ليست موجودة في الشمس كل ما في الامر علاقة "قوّة" في الشئ بحاس منحواسك[1] .

– هذا يعني أنها قدرة أو قوّة في الجسم بفضل ما تحمله منصفات أولية تحدث تغييرا في شكل أوتركيب أو حركة جسم اخر بحيث أنهذا الجسم الاخر أو بالاحرى حركته على حواسنا تأثيرا لم يكن موجودا سلفا مثل : قدرة الشّمس على اذابة الشمع وتحوله الى سائل كأن في الشّمس قوّة من أجل أن نكون فكرة الانصهار أو الذوبان في أذهاننا بعدما كانت لدينا فكرة عن صلابة (الشمع) بمعنى أنها تكونت لدينا فكرة جديدة لم تكن تذكرها من قبل.

بهذا اقترب لوك كثيرا بنظريته هذه من العلوم الحية من غير قصد في الصوت والضوء والحرارة ناتج عن موجات مختلفة تخرج من الاجسام الجزئية التي تنبه الحواس وبذلك تتم لنا رؤية الشئ أو سماع صوته أو الاحساس بحرارته ويعتمد ذلك على طول الموجات فهي نسبية تختلف باختلاف أطول الموجات كما تختلف باختلاف الاشخاص من شخص لآخر حسب استعداداتهم و قدراتهم من أجل تلقي هاته الموجات[2] .

[1] يحي هويدي ، قصة الفلسفة الغربية، مرجع سابق ، ص 63 .

[2] ابراهيم مصطفى ابراهيم ، الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم، مرجع سابق ، ص 268 .

المبحث الثاني : مفهوم المعرفة ، أنواعها ، حدودها عند لوك

1/ مفهوم المعرفة : لغة هي " فرق الشئ أدركه بالحواس أو بغيرها ، والمعرفة ادراك

الاشياء كان أو تصديقا ومنها ادراك البسيط، سواء كان تصورا أو تصديقا بأحوالها ومنها الادراك الجزئي سواء كان مفهوما جزئيا أو حكما جزئيا ومنها ادراك الجزئي عن دليل ومنها الادراك هو بعد الجهل ، وفرقوا بين المعرفة ادراك الجزئي والعلم ادراك كلي.

فالمعرفة تستعمل في التصورات والعلم في التصديقات ، لذلك نقول المعرفة لله ، لان من شرط العلم أن يكون محيطا بأحوال المعلوم احاطة تامة ومن أجل ذلك وصف الله بالعلم لا بالمعرفة ، فالمعرفة أقل من العلم لان للعلم شروط لا تتوافر في كل معرفة ، فكل علم معرفة وليس كل معرفة علما "[1] .

اصطلاحا:

المعرفة اصطلاحا هي عملية انعكاس الواقع وعرضه في الفكر الانساني ، وهي مشروطة بقوانين التطور الاجتماعي ، وترتبط ارتباطا لا ينفصم بالممارسة :" وهدف المعرفة بلوغ الحقيقة الموضوعية ، ويكتسب الانسان في عملية المعرفة المعارف والمفاهيم الخاصة بظواهر الواقع ويتحقق من العلم المحيط به"[2] .

---

[1] جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ج1 ، 1979 ،ص 392.

[2] روزنتال يودن ، الموسوعة الفلسفية ، تر: سمير كرم ، دار الطليعة للطباعة والنشر لبنان/بيروت/ ط 1974 ط2002،2ص482.

وهكذا نجد أن المعرفة كانت تستخدم في عدة نشاطات علمية من أجل تغيير هذا العالم لتلك المتطلبات الانسانية يقول لوك :" التأكيد على ضرورة استهلاك جميع المبادئ الفلسفية بالتحري عن منشأ المعرفة البشرية وثبوتها ومداها وهو أساس علم المعرفة"[1].

ونجد " أن المعرفة هي عملية جدلية معقدة تحدث بأشكال مختلفة ولها مراحلها ودرجاتها في التطور وتصف مساهمة قوة الانسان وقدراته المختلفة "[2] ، وهكذا نجد لفظ المعرفة عند المحدثين كان على أربعة معان :" الاول هو الفعل العقلي الذي يتم به حصول صورة الشيء في النّص ، سواء كان حصولها مصحوبة بالانفعال وغير مصحوبة به".

وهنا كان يقصد أن المعرفة فيها تقابلا واتصال بين الذات المدركة والموضوع المدرك الثاني هو الفعل العقلي الذي يتم به النفوذ الى جوهر الموضوع لتفهم حقيقته ، بحيث تكون المعرفة الكاملة خالية ذاتيا من كل غموض والتباس أو محيط موضوعيا بكل موجود للشيء الواقع "[3] والثالث هو مضمون المعرفة بالمعنى الاول ، وأما الرابع هو مضمون المعرفة بالمعنى الثاني.

وهكذا يمكن القول أن المعرفة كانت تطلق على معنيين أساسيين ، الاول هو الفعل العقلي الذي يدرك الظواهر ذات الصفة الموضوعية ،والثاني كان اطلاقها على نتيجة الفعل أي على حصول صورة الشيء في النّص ، ولهذا :" جاء مفهوم المعرفة في عدة

---

[1] جون لوك ، في الحكم المدني .ترجمة ماجد فخري ، د ط ، اللجنة الدولية لترجمة الروائع ، بيروت ، 1959 ، ص4.

[2] روزنتال يودن ، الموسوعة الفلسفية ، مرجع سابق ، ص482 .

[3] جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، مرجع سابق ، ص393 .

تعريفات من بينها نجد : هي ادراك صور الموجودات والاشياء على ما هو عليه ، وهي مسبوقة بنسيان حاصل بعد العلم بخلاف العلم ، وتقال أيضا على ما هو عليه، وهي المدرك خضوعا اذا تكرر ادراكه فان المدرك اذا أدرك شيئا فحفظ له محصولا في نفسه ثم أدركه ثانيا وأدرك مع ادراكه له انه هو ذلك المدرك الاول قبل الادراك الثاني بهذا الشرط المعرفة"[1] .

والمعرفة عند جميل صليبا هي ادراك الاشياء وتصور لها ومن هذا التعريف للمعرفة هي ادراك الشيء وتصوره .وحسب ما ورد لنا من المعرفة وهكذا نجد: " المعرفة عند جون لوك "[2] ، وعليه المذهب التجريبي الذي يقوم على المعرفة في أساس الحواس ، باعتبارها منبع النهائي لكل معرفة ، وأنها التجربة وحدها تعد بوابة المعرفة ، وعليه نجد أن العقل ليس له شيء لم يمر بالحس أولا ولهذا نجد أن التجريبيون كانوا ينكروا بالأفكار الفطرية التي كان مزود بتلك الافكار، ونجد المذهب التجريبي الحديث جاء رد على مذهب الذي يضم مجموعة من الفلاسفة الذين من بينهم لوك ودافيد هيوم.

وهكذا نجد من أنصار المذهب العقلي هو ديكارت الذي أرجع المعرفة الى العقل ، وأنها البداية بالأفكار الفطرية التي كان بها الطفل الصغير يكون مزود بها منذ ولادته ، ونجد الحس والتجربة لا مجال لها في المعرفة اليقينية ، ولهذا نجد الفيلسوف الانجليزي أنه كان واثقا أن المعرفة كانت تعتمد على التجربة والحواس ، وان العقل دائما يحتوي على فكرة هي التجربة والحواس ، وهكذا نجد العقل دائما يكون خاليا من كل شئ عندما يولد الانسان ونجد العقل يكون صفحة بيضاء خاليا من كل شئ وفكرة ، اذا أراد لوك أن

[1] جيراد جمامي ، موسوعة مصطلحات الفلسفة عند العرب ، مكتبة لبنان ناشرون ، د ط ، د ن ، ص 811.

[2] جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، مرجع سابق ، ص 393 .

يؤكد لنا بأن الانسان عند ولادته يكون خاليا من كل فكرة فشبهه بالصفحة البيضاء وأن الحواس والتجربة هي التي تبدأ بكتابة ما تشاء في عقولنا فان هذه الحواس تولد في العقل أفكار، وهكذا نجد أن أفكارنا تولد بواسطة وسيلة الحاسة ، فمن هذا نستنتج أن : الحواس تنقل لنا الافكار والآراء الى العقل من العالم المادي ، والذي يعتبر هو المصدر الاساسي للمعرفة ، وعليه يمكن أن نقول أن المصدر الاول للأفكار والمعارف هو موضوعات الحس ، والذي يعتمد اعتمادا كليا على حواسنا ، فتكون المعرفة بالحواس مباشرة فتترك انطباع في الذهن، أما المصدر الثاني الذي يزود عقولنا بالأفكار هو الادراك للعمليات التي تقوم أو احدث لنا داخل العقل ، وهذه العمليات تقوم بها النفس في الوقت الذي تكون تفكر وتتأمل في الافكار التي تكونت وانطبعت في العقل أو الذهن بواسطة الحواس ، والتي يسميها لوك بالتفكير أو التأمل

الذاتي كما أنه قد قسم الافكار الى قسمين هما : أفكار حسية ، وأفكار استبطانيه القسم الاول :وهي الافكار الناتجة عن المصدر الاول وهي الافكار الحسية لأنها تكون ناتجة تكون عن طريق الحواس بطريقة مباشرة ومنه نجد أن :" أفكار الاحساسات ، تلك الاثار التي تنطبع في عقولنا نتيجة تأثير الاشياء الخارجية المادية على حواسنا "[1] وكان يقصد أن لوك من خلال القول بأن المعرفة تكون عنده مباشرة التي كانت ناتجة عن أفكار الحواس مثال ذلك نجد اللون ، الشكل ، وكان يسميها أيضا بالأفكار البسيطة ، وهكذا نجد أن تكون واضحة بذاتها وبسيطة ، وهكذا نجد القسم الثاني للأفكار يتمثل في الافكار الاستبطانية ، وهي تعد الافكار التي لا يمكن ادراكها مباشرة مع عقل ، عندما يكون الحس ينقلها بل هي دائما تحتاج الى ادراك عملية العقل وهذا ما نجده في قوله

[1] ابراهيم مصطفى ابراهيم ، الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم ، مرجع سابق ، ص 262.

أيضا أفكار الاستبطان ، يقصد به:" أنه حينما تدرك الاشياء المادية أو تتذكرها أو تتخيلها ، تقوم بهذه العمليات "[1] وهذا يبين هذا القول بأنه النوع الثاني الذي يرى بأن الافكار يمكن معقدة ومركبة ولا يمكن ادراكها بطريقة مباشرة ، لأنها غير بسيطة وغير واضحة أيضا ، ولهذا نجد أن العقل كان يقوم بعدة عمليات عقلية مثال ذلك نجد التخيل والذاكرة والإدراك وغيرها ، كما سميت أيضا تسميات أخرى هي الافكار المركبة لأنها كانت تمتاز بالتعقد وأنها تحمل عدم الوضوح ونجد أن المركبة تكون عكس الافكار البسيطة فإنها دائما تحتاج الى عدة عمليات من بينها هي التعليل والتحليل والتبسيط كما كان العقل يقوم بإدراكها ، ونجد هذا في القول :" الافكار المركبة هي نتيجة قيام العقل بعملياته الفكرية المختلفة من تذكر، وتصور، ومقارنة ، وتخيل وتجريد"[2] ويقصد بذلك أن جون لوك كان الافكار المركبة تدرك في عقل بذاته عندما كان يقوم بعدة عمليات مختلفة مثال ذلك نجد

التذكر والتخيل والمقارنة والتصور والتجريد، هذه العمليات كانت تقوم على الافكار البسيطة التي كانت ناتجة عن منبع الاول ومن ذلك ادراك الافكار المركبة عن طريق الحواس، عندما نرى تفاحة حمراء أو وردة صفراء ولذلك يرى بأن لونها أصفر ففي هذا القرار الذي اتخذناه نحن نكون قد قمنا في هذا الوقت بعملية التأمل والاستبطان الداخلي في العقل لهذا اللون الاصفر، فيصبح الادراك الحسي للون الاصفر حصيلة عقلية ، والادراك هو فكرة من أفكار الاستبطان .

[1] ابراهيم مصطفى ابراهيم ، الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم ، مرجع سابق ، ص 262 .

[2] اميل برهييه ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، مرجع سابق ، ص 330.

كما أن للإنسان أفكار كثيرة تتعلق بقدرته على التصور والتخيل وغيرها من القدرات.

ومنه نجد :" نظرية المعرفة عند جون لوك "[1] وعليه نجد أن لوك أخذ مشروعه كان تأسيسه يتعلق بحث بالمعرفة البشرية ،وذلك هدف الذي سعى تحقيقه ، وهذا ما جاء في المقالة في الفهم البشري بقوله :" أيضا البحث في أصل وحدود المعرفة البشرية ويقينها مع بيان أسس درجات الاعتقاد والظن والموافقة"[2] ويندرج هذا العمل في مبحث نظرية المعرفة والذي كان يشكل عنصر مهم في الفلسفة ، الى ذلك مبحث القيم الوجود رغم نجد أن الفلسفة اليونانية كتبوا عنها نجد أفلاطون وأرسطو ، أما لوك في الواقع كان أول فيلسوف كرس وخصّص عمله الرئيس للبحث في الفهم البشري ، مجاله وحدوده ، ويركز لوك في عمله الفلسفي هذا على أنّه لكي نكتشف حدود معرفتنا ، أو الى أي مدى يمكننا أن معرف وبأي طريق يتسنّى لنا ذلك حريبنا أولا أن نحدد على ماذا تحتوي أو تتضمن المعرفة ، في البدء يستسمح ، لوك القارئ على استعماله المتكرر لمفهوم فكرة في مقالة وهكذا نجد أن مفهوم يشير الى أن كل شئ يكون لديه موضوعا للذهن يكون يفكر حينها الانسان يفكر فيه :

" ومنه أن الفكرة كانت تلعب دور مهم في فلسفته في انتاج المعرفة وهذا ما دفع بخصومه الى نعت مذهبه ، بأنه ذو نزعة فكرية "[3] ولذلك نجد لوك كان يركز على الفكر التي كانت مهمة في فلسفته .

---

[1] اميل برهييه ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، المرجع السابق ، ص 330 .

2 ابراهيم مصطفى ابراهيم ، الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم ، مرجع سابق ، ص 278 .

3 المرجع نفسه ، ص 264.

وعليه نجد أن المعرفة لديها عدة أنواع ومن بينهم نجد أن المعرفة الحدسية :لدينا أفكار خاصة بها في العقل ، وهي أقصى درجات اليقين وأقصى درجات الادلة ووضوح معارفنا تكمن في الطريقة المختلفة لتصور العقل باتفاق أن تختلف بنزع أي من أفكارنا وفي بعض الاحيان أن نجد العقل تصور الاتفاق أو الاختلاف من فكرتين فور بنفسها : " فالمعرفة الحدسية هي المعرفة التي يحصل عليها العقل نتيجة ادراكه ما بين الافكار من توافق أو عدم توافق مباشرة مما يجعلنا نرى مباشرة أن هناك شيئا صادقا عنهما بحيث لا يتطرق اليه الشك ، مثلا : ضوء الشمس في قوته وسطوعه و نفاذه فالعقل لا يحتاج الى مجهود لكي يصل الى مثل هذا النوع من المعرفة لان قضاياها حدسية واضحة بذاتها وبالتالي تتصف بالصدق المطلق "[1]

يقصد بان المعرفة تكون واضحة لذاتها فهي لا تحتاج لأي برهانين وتفاسير وأدلة لإثبات صحتها وهكذا يتصور لدبنا أن العقل عنده نوعين من الاسود والابيض ، أن الدائرة ليست مثلث وثلاثة أكثر من اثنين وهذه الانواع من الحقائق العقل يدرك للوهلة الاولى دون التدخل من أي فكرة أخرى ، ويقول أيضا :" نجد ونطلق عليها المعرفة البديهية لفرط وضوحها وصدقها مثل قولنا الابيض غير الاسود والابن الاصغر من الاب والدائرة هي غير المستطيل"[2] وهكذا من البديهي معرفة الابن أصغر من الابن الاكبر فهذه الاشياء لا تحتاج الى برهان أو تفسير ونجد أن لوك يقول أيضا : " انه من الممكن أن نصل بصورة حدسية الى مبادئ أساسية يقينية للازام الخلقي الذي يمكن أن نستنبط منه نسقا ما ،ولا يهمنا اذا كان هناك شخص ما سوف ينفذ بالفعل كل مبادئ ذلك النسق

[1] ابراهيم مصطفى ابراهيم ، الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم ، مرجع سابق، ص 278.

[2] المرجع نفسه ، ص 278.

في سلوكه اذ ينبغي عليه أن يفعل ذلك اذا كان النسق ذاته مشروعا أعلى اذا تم لإقرار الحدوس بصورة صحيحة تم استنباط النتائج التي تلزم عنها بصورة متسقة"[1] لذلك نعتقد أننا نستطيع أن نعرف وجودنا الخاص معرفة حدسية أفلا يمكن أن يكون قولي أنني أفكر وابرهن وأشعر باللذة والالم أكثر وضوحا بالنسبة لي من وجودي الخاص ولو أنني قدمت بالشك في جميع الاشياء الاخرى فان الشك الخالص يجعلني أدرك وجودي الخاص ولا أقبل أن أشك في ذلك أن كل ما يريده لوك أن يفعله هنا هو أن يعيد حجة ديكارت أنا أفكر اذن أنا موجود .

ولذلك نعتقد بأن المعرفة الحدسية دائما تكون مثالها مباشرة مع عقل لا تحتاج لاي برهان أو تفسير لها.

وعليه يمكن القول أيضا أن مفهوم لوك للحدس مختلف عن أي معنى عقلي أو مثالي له فالحدس عنده تجريبي تماما اذ هو قوة في الذهن يستطيع بها ادراك الحقيقة تماما كما تدرك الحواس الاشياء ، ولذلك فهو في نفس مرتبة الادراك الحسي ، واذا كان الادراك الحسي هوالفعل الذي تقوم به الحواس فان الحدس هو الفعل الذي يقوم به العقل ، وعلى الرغم من أن هذا الحدس غير حسي الا أنه مثل الرؤية الحسية تماما فهو مباشر وغير متوسط وفيه لا ينشغل العقل باثبات أو فحص أي شئ برهانيا ، بل يدرك الحقيقة مثلما العين تدرك الضوء بمجرد أن تتوجه اليه"[2] وعليه كانت المعرفة :" فالمعرفة الحدسية أكثر يقينية وصدق من المعرفة الاستدلالية لانه يرفض فيه المعرفة القائمة على مبادئ

[1] وليام كلي رايت ، باريخ الفلسفة الحديثة ، ترجمة محمود يبد أحمد ، تقديم ومراجعة امام عبد الفتاح امام ط1 ، التنوير للكباعة والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 2010 ، ص 170.

[2] وليام كلي رابت ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، المرجع السابق ، ص 171.

مجردة تستخدمها في براهين للوصول الى الصدق ذات أولوية أو أفضلية على المعرفة الحدسية .

لأنه يرفض مبادئ قبلية ليتوصل بها الى حقائق بالاستدلال والبرهان لذلك لا ينتمي لوك الى فئة التجريبيين "[1] ومنه نلاحظ :" يستخدم الحدس بمعنى يختلف عن المعنى الذي ذهب اليه ديكارت ، فالحدس لديه لا يتعارض مع الفلسفة التجريبية ومنه نجد أن فالمعرفة الحدسية هي ادراك العقل ما بين فكرتين مقال ذاك نجد الفكرة والنموذج من موافقة أو مقارنة ادراك مباشرا دوم أن يستعين في ذلك بفكرة ثالثة وعليه نجد أيضا المعرفة تابرهانية " ويقصد بذلك المعرفة البرهانية حيث يتصور العقل الاتفاق أو الاختلاف من أي أفكار وليس على الفور على علم الرغم من أي وقت مضى ، أن العقل يرى أن نزع السلاح الاتفاق أو الاختلاف الذي يوحد بينهما حيث يكون قابلا للاكتشاف وفي هذه الحالة لا تزل في الجهل ويحصل على مزيد من التخمين المحتمل ومنه نجد ذلك المفهوم البرهانية :" البرهان فانه لا يراه مختلف جوهريا عن الحدس اذ يرجع الاختلاف بينهما الى كون الارتباط بين فكرة واخرى لا يتم مباشرة وانما بفضل تدخل عدد من الافكار الوسيطة التي ترتبط كل منها بالفكرة السابقة لها حدسيا يقول لوك[2] لابد أن يكون لكل خطوة دليل حدسي ترد اليه فاذا اعتبرت كل خطوة من خطوات البرهان في ذاتها مسألة توافق حدسي فان العمليات المشتركة في البرهان ستكون مجرد العمليات المشتركة في الحدس أن هذا هو تحليل لوك لما نسميه بالاستلال وما يعني بالبراهين

[1] ريتشارد شاخت ، رواد الفلسفة الحديثة ، تر: أحمد محمود ، مكتبة الاسرة ، دط ، 1997 ، ص 151.

[2] وليام كلي رايت ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، مرجع سابق ، ص 170.

العقلانية وجاءت أمثلة برهانية مستخلصة أساسا من الهندسة باعتبارها نموذجا للاستدلال والبرهان"[1]

وهكذا نجد لأن العقل :" عجز العقل ولم يستطع أن يجمع بين فكرتين بصورة واضحة و لا تكفي المقارنة بينهما بصورة مباشرة فانه يستطيع في الغالب أن يحدث تلك المقارنة عن طريق توسط

أفكار أخرى وهاته هي المعرفة البرهانية"[2] ومنه يقصد بهذا أن المعرفة البرهانية هي أنها ليست معرفة وانما هي واسطة كانت تأتي عن طريق مقارنة ،وهكذا نجد أن المعرفة البرهانية تعتمد على براهين وعلى الرغم من أنها ليست على هذا القدر من السهولة والوضوح قد تكون صحيحة تماما اذا مات من التحقق من كل خطوة منفصلة عن طريق الحدس فهي ادراك العقل لاتفاق فكرتين أو اختلافهما ادراكا مباشر فهي لا تعوز الى برهان أو دليل لاثبات صحتها ويقينها والتأكد من سلامتها . ونجد أن المعرفة البرهانية كانت تتمثل في :" معرفتنا بوجود الله لهذه المعرفة البرهانية يعوزها الدليل و لايمكن ادراكها ادراكا مباشر وبرهان وجوده "[3] .

ويقول لوك أيضا :" هو ما في العالم الخارجي من غرض وكذلك يؤكد وجودنا نحن وجود الله لان فينا من قوى تحتاج بخلقها الى كائن ذي قوة مطلقة وعقل سام"[4] ومع ذلك نجد أيضا فماهية الله مجهولة لا يستطيع عقلنا أن بعيها ولسنا نؤمن بوجود الله بناء على

---

[1] ريتشارد شاخت ، رواد الفلسفة الحديثة ، مرجع سابق ، ص 151.

[2] ابراهيم مصطفى ابراهيم ، الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم ، مرجع سابق ، ص 279 .

[3] زكي نجيب محمود ، مرجع سابق ، ص 216 .

[4] يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، دار المعارف للطبع والنشر ، د.ط ، د.ت ، ص 141.

معنى غريزي ، بل بناء على برهان فان المعنى الغريزي معدوم بالمرة عند الذين يقولون أنهم ملحدون وعند بعض القبائل المتوحشة وهوان وجد عند العامة فانه مشبع بالتشبيه ولا يطابق حقيقة الله فلو كان في النفس معنى غريزي عند الله لا من بالله جميع الناس وتعقلوه كما هو ، وهكذا نجد أنها ليست فطرية ، بل تقوم على برهان والادلة الذي يبين مدى صحتها "فوجود الله مسألة يعتقد لوك أنه بالمقدور اثباتها اعتمادا على البرهان أن برهانه لاثبات وجود الله لم يتخذ شكل البرهان الانطولوجي ،ولكنه بالأحرى جاء صورة من البرهان الكوزمولوجي ،اذ أنها بالاستطاعة اثبات وجود الله وأيضا عددا من صفاته اذ أسلمنا فقط أننا موجودون وقادرون على الادراك والمعرفة أننا موجودون وقادرون على الادراك والمعرفة "[1] ومنه نجده يقول أيضا :" فالبرهان على وجود الله فهو أن الوجود الحادث هو أن يستلزم موجودا سرمديا كل القدرة وعاقلا أيضا من حيث أنه خلق في العقل وخالق النفس وهذا البرهان على وجود الله وعلى ماهيته في أن واحد دون الحاجة الى معنى غريزي"[2]

ومنه نجد أن جون لوك يرى بأنه الوجود بالنسبة اليه فيقول :ط أن الانسان يعرف اليقين الحدسي أن العدم المحض يعجز عن انتاج كيان حقيقي فاذا أمكنا أن نعرف أن هناك كيانا حقيقا ما سيكون من البراهين الجلية القول بأن هناك شيئا ما قد وجد منذ الازل ، فاذا تعين اذن وجود شئ أبدي فلا يخفى عن عقلنا أنه لا بد أن يكون كائنا عرفانيا "[3]

[1] ريتشارد شاخت ، رواد الفلسفة الحديثة ، مرجع سابق ،ص 156.

[2] يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، مرجع سابق ،ص 141.

[3] ريتشارد شاخت ، رواد الفلسفة الحديثة ، مرجع سابق ،ص 156.

وهكذا نجد أن من خلال:" أن الحقيقة اليقينية الجلية بأن هناك كائنا أبديا عظيم القوة والعلم "..... وان هذا الكائن هو ما درجنا على تسميته الله ويجب أن يكون البرهان المعتمد في اثبات وجوده واضحا يتصف بالفاعلية"[1]

ويقول أيضا نجد :"ومعرفة الاله معرفة برهانية استدلالية اذ تعرف وجود الله من ملاحظتنا للترتيب والنظام في الطبيعة متوصلين بذلك استدلاليا الى ضرورة وجود كائن وضع هذا النظام والترتيب ولكن لوك هنا يعول على مبدأ العلية هو عنده مركبا بفعل النفس الغير موضوعي"[2] وهذا يقصد أنه الوجود لا بد منه أن يكون أزلي .

2/ أنواع المعرفة : المعرفة ثلاثة (3) أنواع حسب الاختلافات في الوضوح أو الدرجات

أ- **المعرفة الحدسية** : لدينا أفكار خاصة بها في العقل ، وهي أقصى درجات اليقين وأقصى درجات الخفيفة وأعظمها وفي طريقنا للمعرفة قد لا يكون خاطئا أن تنظر قليلا الى درجات الادلة ووضوح معارفنا تكمن في الطريقة المختلفة لتصور العقل باتفاق أن تختلف بنزع أي من أفكارنا وفي بعض الاحيان نجد العقل يتصور الاتفاق أو الاختلاف من فكرتين فورا بنفسها[3] .

فالمعرفة الحسية هي المعرفة التي يحصل عليها العقل نتيجة ادراكه مابين الافكار من توافق أو عدم توافق مباشرة مما يجعلنا نرى مباشرة أن هناك شيئا صادقا عنهما بحيث لا يتطرق اليه الشك مثل : ضوء الشمس في قوته وسطوعه ونفاذه ، فالعقل لا

---

[1] المرجع نفسه ،ص 157.

[2] يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، مرجع سابق ،ص141.

[3] John locke , Essay , book 04 , p 520.

يحتاج الى مجهود لكي يصل الى مثل هذا النوع من المعرفة لان قضاياها حدسية واضحة بذاتها وبالتالي تتصف بالصدق المطلق[1] بمعنى انها معرفة واضحة بذاتها لا تحتاج الى تفاسير أو براهين لإثبات صحتها.

– وهكذا يتصور العقل أن الابيض والاسود، أن الدائرة ليست مثلث وثلاثة أكثر من أثنين

وهذه الانواع من الحقائق العقل يدرك للوهلة الاولى دون التدخل من أي فكرة أخرى[2] ونطلق عليها المعرفة البديهية لفرط وضوحها وصدقها مثل قولنا الابيض غير الاسود والابن الاصغر من الاب والدائرة هي غير المستطيل[3] ومن البديهي أن نعرف أن الابن أصغر من الاب والابيض ليس هو الاسود فهذه أشياء واضحة بذاتها ولا تحتاج الى براهين لإثباتها فهذه معرفة أوضح نوع من المعارف فلا يتردد اليها الشك أو الفحص لأنها تعتمد على الحدس والحدس هو عبارة عن معرفة مباشرة دون تدخل وسائط أخرى.

– فهي المعرفة التي يستقبل فيها الذهن اتفاق أو اختلاف فكرتين دون توسط أي فكرة أخرى وعن طريقها نعرف أن اللون الابيض ليس هو الاسود وأن الدائرة ليست مثلثا وأن ثلاثة تساوي واحد مضاف اليه اثنان[4] .

– كما يرى لوك أنه من الممكن أن نصل بصورة حدسية الى مبادئ أساسية يقينية للإلزام الخلقي الذي يمكن أن نستنبط منه نسقا ما ، ولا يهمنا اذا كان هناك شخص ما

---

[1] ابراهيم مصطفى ابراهيم ، الفلسفة من ديكارت الى هيوم، مرجع سابق ، ص 278 .

[2] John locke essay, book 04, p 521.

[3] ابراهيم مصطفى ابراهيم ، الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم، مرجع سابق ،ص 278 .

[4] وليم كلي رايت ، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 169.

سوف ينفذ بالفعل كل مبادئ ذلك النسق في سلوكه اذ ينبغي عليه أن يفعل ذلك اذا كان النسق ذاته مشروعا أعلى اذا تم الاقرار الحدوس بصورة صحيحة وتم استنباط النتائج التي تلزم عنها بصورة متسقة[1] .

– ويعتقد لوك أننا نستطيع أن نعرف وجودنا الخاص معرفة حدية " أفلا يمكن أن يكون أنني أفكر وأبرهن وأشعر باللذة والألم أكثر وضوحا بالنسبة لي من وجودي الخاص.

ولو أنني قدمت بالشك في جميع الاشياء الاخرى فان الشك الخاص يجعلني أدرك وجودي الخاص ؟ ولا أقبل أن أشك في ذلك " ، ان كل ما يريده لوك أن يفعله هنا هو أن يعيد حجة ديكارت " أنا أفكر اذن أنا موجود "[2] .

– فالمعرفة الحدسية مثالها معرفتنا بوجود أنفسنا لان هذه الحقيقة يدركها العقل ادراكا مباشر لا يحتاج في ذلك الى برهان.

فمفهوم لوك للحدس مختلف عن أي معنى عقلي أو مثالي للحدس ، فالحدس عنده تجريبي تماما اذ هو قوّة في الذهن يستطيع بها ادراك الحقيقة تماما كما تدرك الحواس الاشياء ولذلك فهو في نفس مرتبة الادراك الحسي وإذا كان الادراك الحسي هو الفعل الذي تقوم به الحواس فان الحدس هو الفعل الذي يقوم به العقل ، وعلى الرغم من أن الحدس غير حسي إلا أنه مثل الرؤية الحسية تماما فهو مباشر وغير متوسط وفيه لا

[1] وليم كلي رايت ، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق ، ص 170.

[2] المرجع نفسه ،170.

ينشغل العقل بإثبات أو فحص **أي** شيء برهانيا بل يدرك الحقيقة مثلما العين الضوء بمجرد أن تتوجه اليه.

فالأولية للحدس أن كل برهان أن كل برهان أو استدلال في الدرجة الثانية من المعرفة وهي المعرفة الاستدلالية تعتمد على حدس مباشر وواضح اذ تبدأ بهذا الحدس صانعة منه العلاقات والارتباطات بين الافكار[1] فالحدس عند لوك ليس حدسيا بالماهيات والكليات والمبادئ الاولى والحقائق الثابتة مثل : الحدس عند ديكارت وغيره من العقليين بل هو حدسي من طابع حسي تماما ذلك لأنه يتمثل في ادراك عقلي مباشر للعلاقة بين الافكار التي ترجع الى الادراك الحسي ، ومعنى هذا أن الحدس هو حدس بالعلاقة بين الادراكات الحسية[2] .

فالمعرفة الحدسية أكثر يقينية وصدق من المعرفة الاستدلالية لأنه يرفض فيه المعرفة القائمة على مبادئ مجردة تستخدمها في براهين للوصول الى الصدق ذات أولوية أو أفضلية على المعرفة الحدسية لأنه يرفض مبادئ قبلية ليتوصل بها الى حقائق بالاستدلال والبرهان لذلك لا ينتمي لوك الى فئة الفلاسفة العقليين الذين يعطون الاولوية للمعرفة الاستدلالية من مبادئ عقلية وبنظم الى فئة التجريبيين[3] .

– نلاحظ أن لوك يستخدم الحدس بمعنى يختلف عن المعنى الذي ذهب اليه ديكارت فالحدس لديه لا يتعارض مع الفلسفة التجريبية.

---

[1] John locke , Essay , book, 04 ,p530.

[2] John locke , Essay , bppk, 04 p529 .

[3] ريتشارد شاخت ة رواد الفلسفة الحديثة، مرجع سابق ، ص 151 .

فالمعرفة الحدسية هي ادراك العقل مابين فكرتين (الفكرة والنموذج) من موافقة أو مقارنة ادراكا مباشرا دون أن يستعين في ذلك بفكرة ثالثة .

ب/ المعرفة البرهانية :

حيث يتصور العقل الاتفاق أو الاختلاف من أي أفكار وليس على الفور على الرغم من أي وقت مضى ، ان العقل يرى أن نزع السلاح الاتفاق أو الاختلاف الذي يوجد بينهما حيث يكون قابلا للاكتشاف وفي هذه الحالة لا تزل في الجهل ويحصل على مزيد من التخمين المحتمل[1] .

– هي المعرفة التي يحصل عليها العقل حين يدرك ما بين فكرتين من توافق أو عدم توافق ولكن بصورة مباشرة ، بل عن طريق وساطة أفكار أخرى مما يعني ضرورة تحليل العقل للخطوات المتبعة في الوصول الى هذا الحكم مثل الاستدلال الرياضي والاستدلال على وجود الله.

فمن أجل اثبات مساواة ثلاث زوايا مثلث نحتاج الى برهان[2] .

فمفهوم لوك لمعنى البرهان لا يراه مختلف جوهريا عن الحدس ، اذ يرجع الاختلاف بينهما الى كون الارتباط بين فكرة وأخرى لا يتم مباشرة ، وإنما بفضل تدخل عدد من الافكار الوسيطة التي ترتبط كل منها بالفكرة السابقة لها حدسيا . يقول لوك " لا بدّ أن يكون لكل خطوة دليل حدسي ترد اليه " فإذا اعتبرت كل خطوة من خطوات البرهان في

[1] John locke ,Essay ,book 04, p 522 .
[2] John locke ,ESSAY , book 04,p 530.

ذاتها مسألة موافق حدسي فان العمليات المشتركة في البرهان ستكون مجرد العمليات المشترك في الحدس

ان هذا هو تحليل لوك " لما نسميه بالاستلال وما يعني بالبراهين العقلانية وجاءت أمثلة برهانية مستخلصة أساسا من الهندسة باعتبارها نموذجا للاستدلال والبرهان[1] بمعنى اذا عجز العقل ولم يستطع أن يجمع بين فكرتين بصورة واضحة ولا تكفي المقارنة بينهما بصورة مباشرة فانه يستطيع في الغالب أن يحدث تلك المقارنة عن طريق توسط أفكار أخرى وهاته هي المعرفة البرهانية بمعنى أن المعرفة البرهانية ليست معرفة بل هي معرفة تأتي عن وساطة فكرة ثالثة عن طريق المقارنة .

– فالمعرفة البرهانية تعتمد على براهين وعلى الرغم من أنها ليست على القدر من السهولة والوضوح قد تكون صحيحة تماما اذا ما تم التحقق من كل خطوة منفصلة عن طريق الحدس.

فهي إدراك العقل لاتفاق فكرتين أو اختلافهما ادراكا مباشرا فهي لا تعوز الى برهان أو دليل لإثبات صحتها ويقينها والتأكد من سلامتها.

– مثالها يتمثل في معرفتنا بوجود الله لهذه المعرفة لأنه يعوزها الدليل ولا يمكن ادراكها ادراكا مباشرا وبرهان وجوده عند لوك هو ما في العالم الخارجي من غرض

1 ريتشارد شاخت ، زواد الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ، ص 151.

وكذلك يؤكد وجودنا نحن وجود الله لان فينا من قوى تحتاج بخلقها الى كائن ذي قوّة مطلقة وعقل سام[1] .

– فماهية الله مجهولة لا يستطيع عقلنا أن يعيها ولسنا نؤمن بوجود الله بناءا على معنى غريزي بل على برهان ،فان المعنى الغريزي معدوم بالمرة عند الذين يقولون أنهم ملحدون وعند بعض القبائل المتوحشة وهو أن وجد عند العامة فانه مشبع بالتشبيه ولا يطابق حقيقة الله فلو كان في النفس معنى غريزي عند الله لامن بالله جميع النّاس وتعقلوه كما هو[2]..

ليست فكرة فطرية فينا بل تقوم على أساس برهان يثبت مدى صحتها ووجودها فلو كان معنى الله غريزي لام نبه جميع النّاس منذ الخلق فلا وجود للملحدين فوجود الله مسألة يعتقد لوك " أنه بالمقدور اثباتها اعتمادا على البرهان على أن برهانه لإثبات وجود الله لم يتخذ شكل البرهان الانطولوجي و لكنه بالأحرى جاء صورة من البرهان

الكوزمولوجي* ، اذ أنه بالاستطاعة اثبات وجود الله وأيضا عددا من صفاته اذ سلمنا فقط أننا موجودون وقادرون على الادراك والمعرفة[3] فالبرهان على وجود الله فهو أن الوجود الحادث هو أن يستلزم موجودا سرمديا كل القدرة وعاقلا أيضا من حيث أنه خلق في العقل وخالق النفس ، وهذا البرهان على وجود الله وعلى ماهيته في أن واحد دون الحاجة الى معنى غريزي.

1 زكي نجيب محمود ، قصة الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 216.

[2] يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق ، ص 141.

[3] ريتشارد شاخت ، رواد الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 156.

فجون لوك يرى أن وجود (الكائن الابدي) أمر يستخلص من كوننا نحن أنفسنا موجودون يقول " أن الانسان يعرف بفضل اليقين الحدسي أن العدم المحض يعجز عن انتاج كيان حقيقي فإذا أمكنا أن نعرف أن هناك كيانا حقيقي ما سيكون من البراهين الجلية القول بأن هناك شيئا ما قد وجد منذ الازل ، فإذا تعين أذن وجود شيئ أبدي فلا يخفى عن عقلنا أنه لا بدّ أن يكون كائنا عرفانيا[1] .

– من خلال كل هذا اهتدى لوك الى " أن الحقيقة اليقينية الجلية بأن هناك كائنا أبديا عظيم القوّة والعلم ...." وأن هذا الكائن هو ما درجنا على تسميته " الله " ويجب أن يكون البرهان

* برهان كورمولوجي : بالانجليزية (cosmonogy) التي تعني دراسة بمعنى خطبة ومحاضرة وهي تلحق بمعظم الكلمات لتشير الى العلم الذي يدرس هذا العلم الذي يدرس هذا الموضوع هو العلم الذي يدرس الكون من مادة وطاقة كما كان يعيش به الانسان ويتفاعل معه ورغم حداثة هذا العلم من حيث تداخله مع الفيزياء الحديثة فان جذوره تمتد الى العصور القديمة بمعالجتها الفلسفية و الدينية (ميتافيزيقا لموضوع أصل الكون والوجود).المعتمد في اثبات وجوده واضحا يتصف بالفاعلية[2] .

– ومعرفة الاله معرفة برهانية استدلالية اذ تعرف وجود الله من ملاحظاتنا للترتيب والنظام في الطبيعة متوصلين بذلك استدلاليا الى ضرورة وجود كائن وضع هذا النظام والترتيب .

---

[1] ريتشارد شاخت، رواد الفلسفة الحديثة ، مرجع سابق، ص 156.

[2] المرجع نفسه، ص 157.

– ولكن لوك هنا يعول على مبدأ العلية هو عنده مركبا بفعل النفس الغير موضوعي[1] هذا يعني أن وجود أو حدوث هذه الموجودات دليل على وجود خالق لها وكائن أزلي .

ج/ المعرفة الحسية : هي درجة تكون غيها أفكارنا غامض ، فبذلك هو علمنا بالعالم المادي حواسنا ، ولكن هذا النوع على من أنه لم يبلغ من اليقين مبلغ النوعين الاولين الا أنه مرجع للصحة والصدق وهناك أدلة كثيرة على صحة علمنا مما يؤيد أن الصورة منطبقة على حقيقتها الباعثة لها[2] فهي معرفة تعتمد أساسا على ما هو موجود في الواقع الخارجي اذ ليس هناك شئ أكثر يقينا من تلك الفكرة التي تتكون في الذهن عن موضوع خارجي .

– فالأجسام موجودة وعلمنا بوجودها محقق عمليا وان لم يكن في مثل يقين علمنا بذاتنا وبالله يدل على وجودها[3] .

– فلوك يعتقد أن اثبات وجودها لن يتحقق بالاعتماد على الحدس البحت وبالاستدلال المنطقي أو البرهان المنطقي ، ولكنه يرى امكان الحصول على معرفة بوجودها بإتباع وسيلة أخرى بوساطة الاحساس[4] .

– فالذهن لا يستطيع احداث صورها من تلقاء نفسه وكل ناقد حاسة فهو عاطل من المعاني المتعلقة بتلك الحاسة كالأكمه فانه عاطل من معاني الالوان ولا يتصورها ان

---

[1] يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق ، ص 141.

[2] زكي نجيب محمود ، قصة الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 216.

[3] يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق ، ص 142.

[4] ريتشارد شاخت ، رواد الفلسفة الحديثة، مرجع سابق ، ص 158.

أمكن وصفا له وأن تميز بين المعنى الاتي من الحس والمعنى الاتي من الذاكرة فالأول مفروض علينا والثاني تابع للإرادة تذكره ولا تذكره وأن ما يصاحب الاول من لذة أو الم لا يصاحب الثاني[1] .

– فالحواس يؤيد بعضها البعض فالذي يرى النار يستطيع أن يمسها ان شك في وجودها ، وحينئذ يحس الما لا يمكن أن يحس مثله لو كان ادراكه مجرد تصور على أن معانينا ليست صور الاشياء أو أشياءها وانما هي علامات دالة عليها[2] .

– يعتقد لوك أن وجود الاشياء التي ليست حاضرة حضور مباشر أمام حواسنا قد تكون منار الشك ، فلا يمكن القول بانها معرفة ، ولكن عندما تصبح حاضرة حضورا مباشرا لحواسنا " فإننا سنتزود بدليل يزيد جميع شكوتنا " ويذهب الى أنه يوجد اختلاف بين الافكار التي نتذكرها أو نتخيلها فحسب وبين الافكار التي تتوارد بالفعل الى أذهاننا عن طريق الحواس[3].

– وقال " أني أسأل أي شخص لم يشعر بوعي منيع بوجود اختلاف في حالة المدركات بين مشاهدة الشمس في الصباح والتفكير فيها في المساء " وبين شمس زهرة عطرة كالوردة والقرنفلة والاكتفاء بالتفكير في رائحتها وعبقها[4].

– فهكذا نوع من المعرفة بعلمنا بوجود العالم الخارجي وبالتالي فهو يعتمد على الادراك الحسي ، ويرى لوك أن المعرفة تقل عن درجة البداهة واليقين والبرهان ولكنها

---

[1] يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق ، ص 143.

[2] ابراهيم مصطفى ابراهيم ، الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم، مرجع سابق ، ص 279.

[3] ريتشارد شاخت ، رواد الفلسفة الحديثة، مرجع سابق ، ص 158.

[4] المرجع نفسه ، ص 158.

في نفس الوقت أكثر يقينا من المعرفة الظنية أو الاحتمالية فان مثل هذه المعرفة تساعدنا على اثبات العالم الخارجي ، ودليله على ذلك قدرة العقل على التمييز بين الحلم واليقظة[1].

فالمعرفة الحسية تختص بوجود الموضوعات الجزئية التي يتألف منها العالم الخارجي ويقول لوك " يمكننا أن نكون على يقين من وجود شئ مستقل عنا يتطابق مع أفكارنا ومن البديهي أن العقل لا يعرف الاشياء الحسية المباشرة و انما يعرفها بواسطة أفكاره عنها وثمة تكون معرفتنا حقيقة بقدر تطابق أفكار العقل مع الاشياء الموجودة خارجه[2] .

– هذا يعني أن المعرفة تعتمد على عمليات الادراك الحسي بواسطة الحواس الخمس وهذه المعرفة هي أقل يقينا من المعرفة الحدسية والبرهانية لكنها يقين من المعرفة الظنية ، وهذا النوع من المعرفة تساعدنا على معرفة الاشياء الموجودة في العالم الخارجي.

– فلوك يستمد المعرفة الحسية من أفكار بسيطة من الاحساس وليس ثمة صعوبة جادة في التمييز بين أفكار الاحساس الحالي وأفكار الذاكرة والخيال الباهتة ،فالأولى سلبية ويلازمها لذة والم بصورة لا ارادية ونحن نستطيع أن نتحقق منها ومن ذكرياتها عن

[1] ريتشارد شاخت ، رواد الفلسفة الحديثة، مرجع سابق ، ص 158.

[2] المرجع نفسه، ص 158.

طريق التجربة والملاحظة ونستعين بشهادة الاشخاص الاخرين ، وتؤكد لنا " المعرفة الحسية " ان عالمنا خارجيا موجود ، وأنه يحتوي على أشياء جزئية[1] .

ج/ معرفة الاعتقاد الناشئ عن الايمان :

– هذه المعرفة الاعتقادية معرفة تأتي الى الانسان عن طريق الايمان بالمعتقدات الدينية ولا يمكن البرهنة على هذا النوع من المعرفة لسموه عن مستوى مداركنا وحواسنا أنه تتمسك به بشرة لأنه يعد سرا من أسرار الايمان[2] .

فهاته تعد سرا من أسرار الايمان فلا نستطيع الوصول اليها لا بحواسنا ولا بمدركاتنا فهي

تنشأ عن طريق الايمان بمعتقدات دينية معينة .

– فهذا النوع من المعارف الاعتقادية يصلنا من الاديان والكتب المقدسة المرسلة الينا من رب العالمين ، وكان من الطبيعي أن يسلم بها لوك تسليما بسبب عجزه عن البرهان ، فالعقل قاصر عن بلوغ ماهية الاعتقادات الدينية ومنها وجود الله تعالى نفسه[3].

3/ حدود المعرفة : لقد حدد لوك حدود المعرفة الانسانية لا يستطيع الانسان أن يتعداها الى أبعد منها وهي :

– معرفتنا لا تمتد لابعد ما لدينا من أفكار[1] .

---

[1] وليم كلي رايت ، الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 271.

[2] ابراهيم مصطفى ابراهيم ، الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم، مرجع سابق ، ص 279.

[3] المرجع نفسه، ص 280.

– لا يمكن أن تتجاوز معرفتنا ما نستطيع ادراكه من توافق أو عدم توافق بين الافكار بواسطة الحدس أو الاستدلال أو الاحساس[2] ولا نستطيع يقول " المعرفة هي لا شيء ادراك ما بين كل فكرة من أفكارنا والافكار الاخرى من توافق أو اختلاف أو تنافر ، وهذا هو كل ما يتعلق بها وحيثما يوجد هذا الادراك توجد معرفة وعندما لا يوجد فاننا نشعر بقصور المعرفة[3].

– يلزم مما تقدم أن المعرفة البرهانية أو العقلية لا يمكن أن نتناول كل أفكارنا لأننا لا نستطيع دائما أن نجد فكرة وسيطة تربط بين فكرتين في برهان وفي هذه الحالة لا نحصل على المعرفة ولا على البرهان.

– فالمعرفة البديهية نفسها لا تمتد لتشمل جميع العلاقات بين جميع أفكارنا.

– ولما كانت المعرفة الحسية لا تمتد أبعد من وجود الاشياء المماثلة أمام حواسنا بالفعل فإنها أضيق من كل النوعين المتقدمين من المعرفة.

– فحساسية المعارف أضيق من التوصل الى المعرفة الحساسة لا بعد من وجود شئ في الواقع الحالي للحواس الخمي[4] .

– لقد اتجه لوك الى البحث عن مدى معرفتنا عندما تكون مستمدة عن طريق الحدس أو البرهان ، فانه اهتدى الى نتائج أشد انحصار من النتائج التي اهتدى اليها العقلانيون فمن تأثير القيود التي فرضتها على الافكار التي سيعتمد عليها : فيما يتعلق

---

[1] John locke, Essay , book , 04, p 529.

[2] ابراهيم مصطفى ابراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم، مرجع سابق، ص 280.

[3] ريتشارد شاخت ، رواد الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 148– 149.

[4] John locke ,Essay ,book04, p 529.

بالعمدية والتباين فمعرفتنا بلا هوية والتنوع في الافكار يمتد بقدر أفكارنا[1] انه لدينا معرفة حدسية بهوية جميع أفكارنا الواضحة والاختلافات بينهما ، فلا شئ أكثر وضوحا من قولنا بأن اللون الابيض والدائرة ليسا هما اللون الاحمر والمربع .

– وفيما يتعلق بالعلاقة رأى أنه بينما يعد هذا المجال أوسع ميدان في معرفتنا إلا أنها محضورة في برهان العلاقات بين الافكار التي تتوافر لهم بحكم ما بين تصوراتها من ترابط وما يترتب عليها من متضمنات ، وتعتمد هذه الحقائق الى حد كبير على حقائق الرياضيات والأحكام الاخرى التي نسميها الان الحقائق التحليلية ، أي الحقيقة بحكم معاني المصطلحات المستخدمة فإنها لا تمثل معرفة أي شئ موجود مستقلا عن أفكارنا.

– وفيما يخص مسألة الاشتراك في الوجود أو الارتباط الضروري للأفكار يقول عنها في هذه الناحية " معرفتنا قاصرة للغاية " نعم باستطاعتنا أن نلاحظ اشتراك أفكار بسيطة مختلفة في الحدوث وقد تتضمن فكرتنا عن نوع ما من الشيء المركب مجموعة من الافكار البسيطة وغالبا ما لا يكون بمقدورنا أن نعرف هل ترتبط هذه الافكار ارتباطا ضروريا كل منها بالأخرى[2] .

" ان الافكار البسيطة التي تتألف منها الافكار المركبة عن الجواهر قد وضعت في الاغلب بحيث لا تحمل في طياتها وفي طبيعتها اية روابط ضرورية بالأفكار البسيطة أو أي تنافر معها" ومن هنا نستخلص انه ليس باستطاعتنا الاعتماد على الحدس أو البرهان

[1] ريتشارد شاخت، رواد الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص152.

[2] المرجع نفسه، ص 152.

للذهاب بعيدا في تحديد العلاقة الضرورية المتبادلة بين الافكار فإنها ستقتصر عن الاتصاف بكونها معرفة عامة حقا لان الافكار التي تربط بينها غالبا ما يتعذر ادراكها حدسيا أو برهنة ضرورة ارتباطاتها ففي حالة الذهب نجد أن الثبات أو قوّة البقاء في النار دون أية كل أو يفنى هي فكرة تلازم باستمرار وترتبط بنوع معين من شئ أصفر اللون ثقل ومرن وقابل للسحب والطرق وقابل للذوبان[1] .

– وهكذا فمجال معرفتنا محصور في نظر لوك ، لانه يفترض أن كل ما كنا على دراية به لا يزيد عن أفكارنا ولا يمتد الى الاشياء ذاتها وأن جميع أفكارنا اما مستمدة من الادراك أو خالية من المضمون ولا يمكن الحكم على قضية معينة ، انها تمثل معرفة الا اذا اضح ذلك وتم التأكيد عليها اما بالحدس أو بالبرهان.

[1] وليم كلي رايت ، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق ، ص 169.

المبحث الثالث: الأبعاد الإبستمولوجية لنسق لوك المعرفي

مما لا شك فيه أن لوك قد أثر تأثيرا كبيرا في الفكر الفلسفي لا لأنه يعتبر أول من مشكلة المعرفة دراسة منفصلة مستقلة وأفرد لها بحثا خاصا هو كتابه " محاولة في العقل البشري " بل لتطبيقه المنهج التجريبي على بحثه في مشكلة المعرفة ولذا فهو يمكن اعتباره نقطة تحول في تاريخ الفلسفة أعقبته عدة اتجاهات أهمها ثلاثة : اتجاه حسي ، اتجاه عقلي ، اتجاه نقدي ، ومن الفلاسفة الذين تأثروا بجون لوك وفلسفته وكان تأثير ايجابي نذكر :

1- فولتير: الذي تأثر بالاتجاه التجريبي عند كل من لوك ونيوتن معارضا بذلك فلسفة ديكارت العقلية فأخذ عن الاول منهجه التجريبي وفلسفته التحليلية للعقل الانساني[1] وأخذ عن الثاني منهجه العلمي وطريقة تفسيره للظواهر الطبيعية ويبدو تأثير فولتير بلوك في ثلاث مواقف:

- اقتناعه بضرورة الاتجاه التجريبي الذي يناسب العلم الحديث وخاصة حين ذهب الى أن كل ما يمكن أن يوجد في العقل الانساني مرجعه الاحساس[2] ولذا فالتجربة الحسية هي أصل المعرفة عند فولتير.

- وحيث ان فولتير لا يشك في أن ما هو موجود في العقل انما يستمد أصله من الاحساس[3] فلا يمكن أن تكون هناك أفكار فطرية موجودة في الذهن قبل التجربة الحسية

---

[1] فاروق محمود عبد العطي ،جون لوك ،دار الكتاب العلمية بيروت لبنان ،ط1 ،1993 ،ص59.

[2] المرجع نفسه، ص59.

[3] نفسه، ص60.

وهو في هذا متأثر بنظرية لوك في رفضه للأفكار الفطرية معارضا بذلك ديكارت والفلسفة العقلية.

– أنه مثل لوك – لم يكن فيلسوف حسيا – اذ قد امن ببعض القضايا الميتافيزيقية بالرغم من اتجاهه العلمي التجريبي مثل قوله ان الماهية الحقيقية للأشياء شئ غير معروف فيقول في القاموس الفلسفي " ان الله قد وهبك العقل أيها الانسان لكي تعدل به من سلوكات وتحسّن به من تصرفك لا لكي تبحث به في ماهية الاشياء التي خلقها"[1] .

– على أساس أن العقل غير قادر كشفها وهو في هذا متأثر برأي لوك في أن جوه الاشياء أو ماهيتها الحقيقية شئ غامض مجهول . ولذا فيجب على الانسان أن يعرف حدود عقله فلا يبحث الا فيما هو داخل هذه الحدود .

– كوندياك[2] : ويبدو تأثير لوك في الفيلسوف الفرنسي الحسي كوندياك واضحا وخاصة في كتابه " مقالة في أصل المعرفة الانسانية " الذي ظل فيه مخلصا لاتجاه لوك التجريبي وأفكاره الفلسفية الا أنه عاد وخالف رأي لوك في كتابه " الاحساس " في اتجاهه التجريبي

لأنه أصبح فيه أقرب الى الناحية الحسية منه الى النزعة التجريبية لأنه أصبح فيه أقرب الى الناحية الحسية منه الى النزعة التجريبية وذلك حين أنكر على العقل وظيفته الايجابية التي قال بها لوك. زاعما أن كل أفكارنا بل جميع قدراتنا ووظائفها الحيوية تعتمد

---

[1] فاروق محمود عبد العطي، المرجع سابق، ص60.

[2] المرجع نفسه، ص61.

أساسا على الحس فقط وعلى ذلك فالإحساس هو الاساس الاول في جميع وظائفنا الحيوية.

بركلي وهيوم : إلا أن تأثير لوك في كوندياك كان أقل أثرا من تأثيره في الفيلسوف الحسي الانجليزي دافيد هيوم (سنة1804) اذ أن الاخير أخذ عن الاول اتجاهه التجريبي وعمل على تطويره حتى وصل به الى اخر مداه بلا تحفظ ولا تقييدا فهو يسير في كتابه "رسالة في الطبيعة البشرية " من حيث رفضه لكل معرفة فطرية أولية قائلا ان أية معرفة تعتمد أساسا على التجربة الا أن معنى التجربة عند هيوم أضيق بكثير من معناها عند لوك لأنه اعترف بجانبها الحسي فقط وأهمل جانبها العقلي الذي اعترف به لوك وأنكره عليه كوندياك من قبل لذلك فهيوم ينكر أن يكون للعقل نشاط ايجابي لان وظيفته مقصورة على مجرد تلقي الانطباعات الحسية التي وصلت اليه من الخارج

اذ أن الانطباعات تؤثر في الذهن فتنطبع صورها فيه فان كان هذا الانطباع قويا سميت احساسا وان كان ضعيفا بمرور الوقت مثلا سميت أفكارا اذ أن الفكرة ادراك ضعيف عند هيوم[1] وهو في هذا يخالف لوك أما كيف تتم المعرفة عنده فذلك يتوقف على قوانين تداعي المعاني التي تترابط بناء عليها اليا الانطباعات الموجودة في الذهن[2] ولذلك فهيوم ينكر أفكارا عن الجواهر التي ذكرها لوك قائلا :" انه لا يمكن أن يكون هناك شئ نسميه بالجوهر بحيث يختفي وراء المظاهر الحسية التي توصل اليها بركلي بالنسبة للجوهر المادي ويبدو أثر لوك في بركلي وهيوم كبيرا حين رد جميع أفكارنا سواء البسيط منها أو المركب الى الاحساس مرددا نفس العبارة الشهيرة " أن لا شئ في العقل ما لم

[1] فاروق محمود عبد العطي، المرجع سابق، ص61.

[2] المرجع نفسه، ص61.

يكن من قبل في الإحساس اذ أن بركلي سار على نهج لوك فرد المعرفة الانسانية كذلك الى مجموعة من الاحساسات لكن بمعنى أن الشيء الخارجي ليس سوى مجموعة من الاحساسات تعرضها علينا التجربة .

وهذا هو ما يفرقه عن لوك فالأشياء الخارجية بالنسبة للوك أو الموضوعات الحسية موجودة في الخارج ولذلك فنحن ندركها ونكون بناء على احساساتنا بها أفكارا بسيطة بينما الامر على خلاف ذلك بالنسبة لبركلي.

اذ أن الاشياء الخارجية موجودة لأننا ندركها[1] .

وذلك لأننا لا ندرك بحواسنا الاشياء ذاتها بل ندرك صفاتها أو كيفياتها كالألوان والأصوات وهذه كلها عند باركلي عقلية أو موجودة في العقل ولذا فالموجودات الخارجية أي موضوعات ليست سوى هذه الدركات Perceptions أو الافكار الموجودة في الذهن وبناء على ذلك فلا يمكن أن يكون هناك محل لوجود فكرة للجوهر المادي الذي لا يمكن ادراكه وهو في هناك محل لوجود فكرة للجوهر المادي الذي لا يمكن ادراكه وهو في هذا الصدد يقول:" ان الشئ الذي ننكر وجوده تماما هو ما يسميه الفلاسفة باسم الجوهر المادي أو الجسمي " ويؤكد هذ المعنى على لسان فيلونوس قائلا " انه لا يوجد أبدا مثل ذلك الشئ الذي يسمونه بالجوهر[2] المادي" طالما كان هذا الجوهر لا يمكن ادراكه وطالما كان الوجود متوقفا على الادراك بالنسبة لبركلي.

[1] فاروق محمود عبد العطي، المرجع سابق، ص62.

[2] المرجع نفسه، ص63.

إلا أن بركلي يتفق مع لوك في أنه لم ينكر وجود الجوهر الروحي بل أثبته وأكد وجوده كعلة لوجود أفكارنا.

إلا أن هيوم يرفض ذلك الرأي ويقول ان ذاتية النفس أو جوهريتها شئ وهمي ويشرح ذلك قائلا " أما عن نفسي – فإنني ما توغلت في هذا الذي أسميه (نفسي) توغلا أحاول أن أكون على صلة مباشرة بها – فلا أراني الا عاثرا على هذا الادراك الجزئي أو ذلك كأن أقع على ادراك الحرارة والبرودة أو النور والظل أو الحب والكراهية أو الالم واللذة ولم أستطع قط أن أملك بنفسي في أية لحظة من اللحظات دون أن تكون هناك حالة ادراكية معينة ثم لم أستطع أبدا أن ألحظ في نفسي الا تلك الحالة الادراكية وحدها فإذا ما زالت ادراكاتي لفترة معينة كما يحدث مثلا في حالة النوم العميق فإنني لا أكون عندئذ على وعي بنفسي حتى ليمكن حقا أن يقال عني اني لست موجودا ثم لو زالت كل ادراكاتي بالموت بحيث لا يعود في مستطاعي أن أفكر أو أن ألمس أو أن أبصر أو أن أحب أو أوكره بعد تحلل جسدي فإنني عندئذ أكون قد محيت محوا كاملا[1] فاذا زعم لي زاعم بعد هذا أنه يختلف معي في الرأي وأنه يستطيع أن يجد له نفسا غير الادراكات الجزئية التي تعرض له فإنني أعترف بأنني عاجز عن المضي معه في حجاج عقلي وكل ما أسلم به له هو أنه قد يكون على صواب

وأننا مختلفان جوهريا في هذا الموضوع وأنه قد يكون مدركا لشيء متصل الوجود بسيط التكوين يقول عنه انه نفسه – أما أنا فلست أشك في أنني لا أجد عندي شيئا كهذا".

[1] فاروق محمود عبد العطي، المرجع سابق ،ص64.

وعلى ذلك فالموضوعات الحسية ليست سوى مجموعة أو حزمة من الكيفيات المحسوسة طالما ليس هناك جوهر مادي وكذلك فالعقل ليس سوى مجموعة أو حزمة من المدركات طالما ليس هناك جوهر روحي أو نفسي[1] .

برتراند رسل :

يعتبر رسل خير من يمثل الاتجاه الظاهري في الفلسفة التجريبية الحديثة من حيث هي امتداد للتجريبية الانجليزية التي بدأها فرنسيس بيكون وجون لوك مطورا اياها الى نوع من التحليل يرد موضوعات الفلسفة الى الاوليات البسيطة التي تتألف منها – حتى لا تتعدى الكائنات التي نفترض وجودها كمقومات للعالم – وذلك بحذف ما لا تستدعيه الضرورة الى أن تنتهي الى الحد الادنى من المقومات التي لا بد من افتراضها لنفسر بها العالم[2] معتمدا في ذلك على مبدأ وليم الاوكامي المعروف بنصل أوكام Occums Pazor والقائل " انه لا يجوز لنا أن نكثر من الكائنات بغير ضرورة تدعو الى ذلك"[3].

ومن هذه الكائنات الميتافيزيقية الواجب حذفها بالنسبة لرسل لاستحالة وفوعها في الخبرة المباشرة– تلك العناصر التي افترض الفلاسفة أنها قائمة في الاشياء لتلتف حولها ظواهر تلك الاشياء والتي تعتبر بمثابة الحقيقة الثابتة للأشياء في مقابل ظواهرها المتغيرة وتطبيقا لمبدأ أوكام يرى رسل الاكتفاء في تفسيره للعالم بمجموعة ظواهره مستغنيا عن

---

[1] فاروق محمود عبد العطي، المرجع سابق، ص65.

[2] مرجع نفسه، ص65.

[3] نفسه، ص66.

العنصر أو الجوهر أو النواة التي يفرض وجودها في كل شئ" ليسهل تصوره(شيئا) متصل الوج".

مثلا اذا قلت " ان هناك منضدة أمامي – وأفترض فيها أنها شئ مادي على درجة تزيد أو تقل من الثبات والدوام فهي اليوم ما كانت بالأمس وما ستكون غدا ثم تساءلت عما يأتيني منها في تيار خبرتي المباشرة سأجد أن كل ما يأتيني منها لمعات مختلفة من اللون تختلف درجة لمعانها باختلاف الضوء الساقط عليها وباختلاف وقفتي منها ودرجات من الصلابة أحسها حين أضغطها بأصابعي ودرجات من الصوت أسمعها اذا ما نقرتها بيدي أو بغيرها وهكذا .. الى اخر هذه المعطيات الحسية التي تأتيني من المنضدة في خبرتي المباشرة متتابعة في مجموعات تختلف بعضها عن بعض كثيرا وقليلا"[1] والتي افترض الفلاسفة أن وراؤءها جوهرا خفيا مجهولا يعتبر بمثابة الركيزة (Substratum) التي ترتكز عليها صفات الاشياء أو مظاهرها فاذا ما تساءلنا عن معنى المنضدة عند رسل تطبيقا لنصل أوكام فلن نجدها سوى ظاهرتها الحسية

تتجمع في مجموعات لا يربطها رباط سوى (وجهة النظر) اليها وهو مضطر الى الاكتفاء بهذا الظاهرات ما دام يحدد نفسه بحدود خبرته المباشرة لان هذه الظاهرات وحدها هي التي تجئ عن طريق الخبرة المباشرة[2] وكما ذهب رسل الى استبعاد فكرة الجوهر المادي انتهى الى نفس النتيجة بالنسبة للجوهر الروحي أو الذات الانانية التي يعتبرها فرضا لا ضرورة له ما دام التزامنا بالمعرفة اليقينية يقتضينا أن نقف عند الخبرة الحسية المباشرة وليس في هذه الخبرة المباشرة (ذات) بل كلها معطيات حسية تأتينا من

[1] فاروق محمود عبد العطي، المرجع سابق ،ص66.

[2] المرجع نفسه ،ص67.

الخارج[1] دون عنصر أو جوهر نفرض وجوده داخل كيان الانسان ليمسك تلك الظاهرات الجزئية في فرد واحد له وجود متصل ثابت اذ أن نصل أوكام الذي نبتر به الكائنات الزائدة التي نسرف في افتراضها يقتضي التخليص من هذه الفروض التي ليس لها ضرورة منطقية تقتضيها وهي نفس النتيجة التي توصل اليها تقريبا هيوم من قبل بانكاره لفكرة الجوهر ، وذلك نتيجة لتطوير البداية التجريبية التي بدأ بها لوك تطويرا دفع بها الى نتائج تتفق مع المقدمات التجريبية وخير من يمثل نهاية الطريق التجريبي الذي بدأه لوك هو وليم جيمس.

– وليم جيمس :

فكما كانت الفلسفة التجريبية الحديث امتدادا للتجريبية الانجليزية وخاصة عند لوك كذلك يمكننا اعتبار الفلسفة التجريبية المتطرفة امتدادا طور فيه وليم جيمس التجريبية الانجليزية تطويرا اتفق فيه معها في المقدمات الا أنه اختلف عنها في النتائج.

فالتجريبية المتطرفة تذهب الى أن كل مناقشة فلسفية يجب أن تنحصر في موضوعات مما يقع في الخبرة البشرية[2].

حقيقة انه قد يكون في الكون ما لا يقع للناس في خبراتهم لكن حديثنا عنه عندئذ يصبح

بغير معنى ولذا فوليم جيمس لا يدعي أن وجود الشيء متوقف على خبرتنا به بل يذهب الى أن الشيء لا يكون مفهوما لنا أو ذا دلالة في حديثنا عنه الا اذا كان جزءا

[1] فاروق محمود عبد العطي، المرجع سابق ،ص67.

[2] المرجع نفسه ،ص68.

فعليا أو ممكنا من أجزاء الخبرة الانسانية وهو لو كان قد توقف عند هذا الحد ، لكان على اتفاق مع التجريبية الانجليزية لأنهم يرون أن ما يستطاع معرفته هو الذي يقع في حدود خبرات[1] الانسان الا أنه لا يقف عند هذا الحد فقط بل يمضي ويقرر حقيقة هي التي ميزت تجريبيته وجعلتها تجريبية متطرفة .

كما أسماها وهذه الحقيقة أننا حين ندرك أشياء العالم بالخبرة المباشرة فإننا ندرك الاشياء وما يربطها من علاقات ، فالعلاقات القائمة بين الاشياء هي كالأشياء نفسها مما ندركه في عناصر الموقف الذي يتاح لنا أن ندركه وليست هي كما كان الظن من صناعة عقولنا ولا هي شئ خارج عن طبيعة الموقف جاءه من أعلى بل هي جزء منه لا يتجزأ يدركه الانسان أو يدرك الموقف بكل ما فيه من عناصر : أشياء وعلاقات بمعنى أن العلاقات تدرك في الخبرة

المباشرة كالأشياء المرتبطة بتلك العلاقات سواء بسواء[2].

وهو في هذا مختلف عن لوك اذ أن العلاقة بالنسبة للوك مجرد رابطة ذهنية من صنع العقل وليس لها وجود في الواقع فإذا قلت ان الكتاب فوق المنضدة فليس هناك في الواقع الحسي سوى كتاب ومنضدة فقط بينما لا توجد في الخارج فوق أو تحت أو أعلى أو أسفل.

كما أن العلاقة ليست الا مجرد صفة تضاف للجوهر الا أنها لا تكون جزءا من ماهيته بمعنى أنني اذا قلت ان (أ) والد (ب) ، فهذا يعني أن (أ) يتصف بصفة تجعله

[1] فاروق محمود عبد العطي، المرجع سابق، ص68.

[2] المرجع نفسه، ص69.

يرتبط بابنه بعلاقة ما ، هي علاقة الابوة الا أننا نلاحظ أن (أ) لم يزد عليه شئ ولم تتميز ماهيته عما كانت عليه بعد أن أصبح والدا كما أنها لن تتغير بعد أن يموت ويصبح بلا ابن اذ أن اذ أن ماهية (أ)

هي لم تتغير فاذا ما جاء وليم جيمس ليقول ان الانسان يدرك العلاقات ادراكا مباشرا مع الاشياء نفسها المرتبطة بتلك العلاقات يكون قد سار بتجريبيته خطوة أخرى بعد التجريبية الانجليزية وخاصة تجريبية لوك التي قصرت المشاهدة على (الحالات) المتقطعة المتجزئة

وحدها ثم جعلت العلاقات التي تربطها تتم في الداخل ولا تأتي مع بقية المدركات من خارج ومن ثم كانت تجريبية وليم جيمس تجريبية متطرفة من كل ما سبق يمكننا القول ان تجريبية لوك كانت مرحلة متوسطة مهدت الى الاتجاه الحسي عند كوندياك وهيوم كما كانت مرحلة انتقال ضرورية لا بد منها للتمهيد لظهور التجريبية الحديثة والتجريبية المتطرفة في الفلسفة.

نتائج الفصل الثاني:

نخلص في هذا الفصل الى أن لوك قسم المعرفة الى أنواع ومنها:

– معرفة حدسية: وهي معرفة مباشرة واضحة بذاتها لا تحتاج الى أية براهين أو أدلة لإثبات صحتها وسلامتها مثل : معرفة أن الابيض ليس الاسود وأن الاب أكبر من الابن وأن الجزء أقل من الكل ..... الخ ، فهاته أفكار بديهية واضحة بذاتها مثلا : معرفة وجودنا (معرفة النفس) .

– معرفة برهانية: هي المعرفة التي يحتاج فيها العقل الى برهان ودليل لإثبات صحتها فهي بحاجة الى وساطة بإثبات وجود الله.

– معرفة حسية: هي معرفة مبهمة وغامضة تقل درجة عن النوعين السابقين تعتمد على الادراك الحسي أي على الحواس، ويعلمنا هذا النوع من المعارف بوجود العالم الخارجي والاشياء.

– معرفة الاعتقاد: الناشئ عن الايمان التي نحصل عليها عن طريق الايمان لا بالحواس ولا بالإدراك.

– وأيضا بالنسبة للوك المعرفة الحدسية أيضا لا يمكنها أن تصل الى كل أفكارنا وكل ما نرغب في معرفته لأننا لا نستطيع أن ندرك كل العلاقات القائمة بين الافكار.

وبالنسبة للأبعاد الإبستمولوجية لنسق جون لوك المعرفي وهو مبحث فقد كان خاصا بأهم الفلاسفة التجريبيين والحسيين الذين تأثروا بجون لوق وبنسقه الفلسفي.

الخاتمة

خاتمة:

نستنتج في الاخير وبعد هذه الدراسة التحليلية للأبعاد الإبستيمولوجية الخاصة بنظرية المعرفة عند جون لوك بقراءة نقدية أن هناك جملة من النتائج نذكر أهمها:

أن جون لوك أنكر بداية الافكار الفطرية لأنه يرفض كل الافكار والمبادئ الفطرية مبدئيا أسبقية الحواس على العقل.

يرفض أيضا لوك الافكار الفطرية بناء على الخبرات البشرية المتعددة وأن ما هو فطري للبعض ليس كذلك عند البعض الاخر، فهناك أجناس بشرية مختلفة تعتنق أفكار مختلفة وتعتقد أنها فطرية وهناك شعوب أخرى لا تعتقد في وجود هذه الافكار في الاصل وهذا دليل على أنه ليس هناك اجماع بشري عام على أفكار فطرية واحدة فلو كانت هذه الافكار الفطرية موجودة لكانت كل البشرية تعتقد بها.

اضافة الى ذلك لو كان هذا صحيحا لامكن للبدائيين والمتوحشين والأطفال العوام والمجانين أن يعرفوا قانون الذاتية أو التناقض فهم ليسوا على وعي لكي يفكروا تفكيرا سليما.

– وقد اعتمد جون لوك في رفضه للأفكار الفطرية على حجة مفادها أن العقل أو الذهن يولد صفحة بيضاء خالية من أية حروف، فهو يعتقد أن الافكار الفطرية هي مجرد أحكام مسبقة وبالتالي يمكننا تحصيل المعرفة دون الاعتماد واللجوء الى أية فكرة.

فلو كانت هناك أفكار فطرية مطبوعة في النفس الانسانية لكان الاطفال يعرفونها، فالطفل لا يمكنه التعرف على هاته المبادئ إلا عن طريق التعلم بمعنى أنه يجب أن يستند الى الخبرة الحسية، فالعقل لا يستطيع إدراك تلك الآراء.

فلو كان الذهب العقلي صحيحا فما الحاجة إذا الى الملاحظة والاختبار.

اضافة الى ذلك يرفض جون لوك وجود أي مبادئ أخلاقية، فالمجتمعات تختلف من مجتمع لآخر ولو كانت هاته المبادئ فطرية ومحل اتفاق بين جميع الناس والمجتمعات، فوجود الله مثلا: ليست فكرة يتفق عليها كل الناس فلو كانت فطرية فبما ذا نفسر تلك المجتمعات الملحدة التي لا تؤمن بفكرة الله.

وفكرة الفضيلة عند ليست فطرية لان الناس يتماشون حسب منافعهم ومصالحهم الشخصية والسعي نحو اللذة والسعادة، ولو كان مبدأ الفضيلة فطريا لكان جميع الناس فضلاء.

بعدما أنكر جون لوك الافكار الفطرية قدم تفسيرا على مصدر الافكار وهي التجربة الحسية، وهي بدورها تتوقف على الاحساس عن طريق الحواس، فالتجربة هي المصدر الوحيد لكل معارفنا الانسانية سواء كان مصدرها الاحساس كأفكار الصلابة والحلاوة...الخ.

المصدر الاول للأفكار عند لوك هي موضوعات الحس اعتمادا على حواسنا التي تنتزع مختلف الاحساسات الخارجية وتوصلها الى عقولنا، فالعقل لا يفكر إلا فيما يحصل عليه من الاحساس من خلال ارتباطه بالإحساس.

وقد قسم التجربة الى تجربة ظاهرة وتجربة باطنة والتجربة بهذا المعنى الواسع هي المصدر الوحيد للمعرفة، ومن فقد حاسة من حواسه، فقد المعاني المتعلقة بها فالأعمى مثلا: لا يمكنه تصور أي لون من الالوان والأصم لا يستطيع أن يميز بين مختلف الاصوات.

رفض جون لوك للمعاني الفطرية انتهى الى تفسير المعرفة بالتجربة، ولكن نزعة لوك التجريبية ليست مقطوعة الصلة بالعقل، فاعترافه بالتفكير العقلي وتفسيره للأفكار المركبة التي تتألف بواسطة العمليات الذهنية.

كما قام لوك بتقسيم الافكار الى نوعين من الافكار البسيطة وأخرى مركبة ، فالأفكار البسيطة تنقسم الى ثلاث أنواع ،الافكار التي تأتي من حاسة واحدة كأفكار المكان والحركة مثلا وأفكار تتكون بواسطة التأمل والإحساس معا مثل اللذة والألم ..، وأيضا الى أفكار مركبة هي تعتبر صور ذهنية ، تتألف بواسطة مجموعة الافكار البسيطة عن طريق العمليات الذهنية : أولا عملية الجمع لمعنى مجموعة الافكار البسيطة وبعدها القيام بعملية المقارنة بمعنى مقارنة الافكار ببعضها البعض ثم تأتي عملية التجريد ، وبعدها قسم صفات الاشياء الى صفات أولية وأخرى ثانوية .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1- ابراهيم مصطفى ابراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، الاسكندرية، دط، د،ت.

2- ايميلي برليه، تاريخ الفلسفة القرن17، (تر) جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ط2، 1993، ج4.

3- جميل صليبا، المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ج1 ، 1979 .

4- جون كوتنغهام، العقلانية، (تر) محمود الهاشمي، مركز الانماء الحضري، حلب المنشية، بناية المحبة ط1، 1977.

5- جون لوك ، في الحكم المدني .ترجمة ماجد فخري ، د ط ، اللجنة الدولية لترجمة الروائع ، بيروت ، 1959 .

6- جيراد جمامي ، موسوعة مصطلحات الفلسفة عند العرب ، مكتبة لبنان ناشرون، د ط ، د ن.

7- دافيد هيوم، مبحث في الفاهمة البشرية، ترجمة موسى وهبة، دار الفارابي، بيروت ، لبنان ، ط1 .

8- رنيه ديكارت، مقالة الطريقة، ترجمة جميل صليبا، موفم للنشر، د ط ، 1991 .

9- رنيه ديكارت، تأملات في الفلسفة الاولى، ترجمة عثمان أمين، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، ط 1، 1969.

10- روزنتال يودن ، الموسوعة الفلسفية ، تر: سمير كرم ، دار الطليعة للطباعة والنشر لبنان/بيروت/ ط2، 2002.

11-رونالد نستر ومبرج، تاريخ الفكر الاوربي الحديث 1601- 1977، دار القارئ العربي، القاهرة، ط3 ،1994.

12-ريتشارد شاخت، رواد الفلسفة الحديثة ، تر: أحمد محمود ، مكتبة الاسرة ، دط ، 1997 .

13-رينيه ديكارت، مبادئ الفلسفة، ترجمة عثمان أمين، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د ط ، 1993 .

14-زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،د ط،د ت.

15-مهدي فضل الله، فلسفة ديكارت ومنهجه، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط 2، 1986.

16-وليام كلي رايت ، باريخ الفلسفة الحديثة ، ترجمة محمود يبد أحمد ، تقديم ومراجعة امام عبد الفتاح امام ط1 ، التنوير للكباعة والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 2010.

17-وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديث، ترجمة محمود سيد احمد، التنوير للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، ط1، 2010.

18-يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، دار المعارف للطبع والنشر ، د.ط ، د.ت.

19- jhon locke, An Essay concerning Homan understanding, the pennsybanina state university,1690..

فهرس المحتويات

إهداء
شكر وعرفان
مقدمة أ
الفصل الاول :**الارهاصات الإبستمولوجية لنظرية المعرفة في العصر الحديث**
تمهيد
المبحث الأول : طبيعة المعرفة عند ديكارت
1- الافكار الاتفاقية أو الخارجية **09**
2. الافكار المصطنعة أو الخيالية **10**
3. الافكار الفطرية **11**
المبحث الثاني : طبيعة المعرفة عند دافيد هيوم **13**
1-الآثار الحسية **14**
2-الآثار الفكرية **15**
المبحث الثالث : نقد جون لوك ورفضه للأفكار الفطرية **18**
1-الأفكار الفطرية مجرد أحكام مسبقة **19**
2-نقد جون لوك للعقل **26**
3-رفض لوك للمبادئ الأخلاقية الفطرية **28**
خلاصة الفصل **29**
الفصل الثاني: طبيعة المعرفة عند جون لوك وأبعادها الإبستمولوجية
تمهيد **30**

المبحث الأول : أصل وتكوين الأفكار وأنواعها عند لوك	**31**
1-الأبكار البسيطة	**31**
2-الأفكار المركبة	**38**
3-الصفات الأولية والصفات الثانوية	**50**
المبحث الثاني: مفهوم المعرفة وأنواعها ،حدودها عند لوك	**57**
1-مفهوم المعرفة	**57**
2-أنواع المعرفة	**71**
3-حدود المعرفة	**86**
المبحث الثالث: الأبعاد الإبستمولوجية لنسق لوك المعرفي	**90**
1-فولتير	**90**
2-كوندياك	**92**
3- **بركلي وهيوم**	**93**
4- **برتراند راسل**	**97**
5-وليام جيمس	**100**
خلاصة الفصل	**103**
الخاتمة	**105**
قائمة المصادر والمراجع	**108**

الملخص:

يعد الفيلسوف الإنجليزي جون لوك من أهم الفلاسفة الذين بحثوا في مبحث نظرية المعرفة، والذي يعد من أكبر ممثلي النزعة التجريبية، فمعظم الباحثين الغربيين يجعلون عام 1690 بداية قيام هذه النظرية وهو العام الذي طبع فيه هذا الفيلسوف كتابه "مقالة في الفهم الإنساني ."ومن خلال هذا الموضوع الموسوم الأبعاد الإبستيمولوجية لنظرية المعرفة عند جون لوك قراءة نقدية نطرح الإشكالية التالية :ما طبيعة المعرفة عند جون لوك؟ وما هي البعاد الإبستيمولوجية التي تقوم عليها المعرفة؟

Abstract:

English philosopher John Locke is considered one of the most important philosophers who explored the theory of knowledge. He is considered one of the greatest representatives of empiricism. Most Western researchers consider 1690 to be the year in which this theory began, the year in which this philosopher published his book "An Essay Concerning Human Understanding." Through this topic, "The Epistemological Dimensions of John Locke's Theory of Knowledge: A Critical Reading," we pose the following question: What is the nature of knowledge according to John Locke? What are the epistemological dimensions upon which knowledge is based?